بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب الخامس

إعـــداد القـــوى ورباط الخيـــل

من بعد الجولة الثانية حتى رحيل عبد الناصر ١٩٧٠

الفصل الأول

الموقف في منطقة الشرق الأوسط بين جولتي ١٩٥٦ و ١٩٦٧

تتابعت الأحداث على منطقة الشرق الأوسط في أعقاب العدوان الثلاثي بعد أن ظهرت إسرائيل أمام العالم كدولة عميلة تلبي مطالب الغرب الرأسمالي ، وتؤدي كل ما يوكله إليها من مهام ، وتنصاع لأوامره بصفة كونها جزءًا من التشكيل الحضاري الغربي .

ولم تكن الولايات المتحدة الأمريكية - رغم ورطتها السياسية والعسكرية في مسرح جنوب شرق آسيا منذ حقبة الخمسينيات - تعزف عن متابعة مجريات الأمور بالشرق الأوسط ، بل تعمل جاهدة لترث النفوذ الإنجلوفرنسي فيه .

وقد اشتعل التنافس بينها وبين الاتحاد السوفيتي الذي كان الأكثر نجاحًا مع مصر وسوريا والعراق والجزائر ، بينما كانت الولايات المتحدة ذات النفوذ بالنسبة للمملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية وجمهورية لبنان والمملكة الليبية والمملكة المغربية وجمهورية تونس .

وكان مؤتمر برمودا بين الرئيس دوايت أيزنهاور والمستر هارولد ماكميلان عام ١٩٥٧ بمثابة عملية تسليم وتسلم للهيمنة الغربية على الشرق الأوسط ، حيث اتفقا على أن تخفض بريطانيا من وجودها والتزاماتها وراء البحار ، مقابل قيام الولايات المتحدة الأمريكية برعاية وتأمين مصالح الغرب فيها .

وكان الثمن الذي تقاضاه الاقتصاد البريطاني المتدهور منذ الغزو الفاشل لبور سعيد عام ١٩٥٦ ، عبارة عن دعم عاجل قيمته ٤٠٠ مليون جنيه استرليني لإقالة اقتصادها من عثرته .

ومنذ ذلك المؤتمر تبلورت أهداف الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للشرق الأوسط في الآتي :

١- وقف تسرب نفوذ السوفيت إلى المنطقة ، والعمل على إخراجه من المناطق التي تمكَّن من وضع أقدامه فيها .

٢- حصار بؤر الثورات التقدمية وإجهاضها .

٣- دعم المصالح الغربية بالمنطقة ، وتمتين روابط ولائها للغرب .

إلا أن العقبة التي اعترضت تحقيق تلك الأهداف هي صداقة الولايات المتحدة لإسرائيل وانحيازها الكامل إلى جانبها بما فيه الضرر المباشر لحقوق العرب ومصالحهم المشروعة .

وبمجرد أن عقدت مصر صفقة السلاح الشرقي ، بعثت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية للرئيس إيزنهاور تخطره بأن « نظام الرئيس عبد الناصر سوف يظل يسيطر على الأمور في مصر لسنوات كثيرة قادمة ما لم يهزم هزيمة ساحقة أو يتم اغتياله » ، وأن هذا النظام يضر بمصالح الغرب غاية الضرر .

ثم زاد تدهور العلاقات الأمريكية المصرية بموقف مصر من ثورة اليمن ، التي اشتعلت يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فبادرت مصر إلى مساعدتها ، ودفع قوة من قواتها المسلحة لشد أزرها .

وكان اقتراب مصر من منطقة الخليج ومنابع النفط تهديدًا خطيرًا ومباشرًا لمصالح الغرب الحيوية وتعريض لشريان مواصلاتها الحيوي عبر البحر الأحمر ، نظرًا لقبضة مصر على منفذيه الشمالي والجنوبي . وظل الوجود العسكري المصري باليمن يتزايد حتى تجاوز ٤٥ ألف جندي في منتصف ١٩٦٣ ، ثم ٧٠ ألفًا في نهاية ١٩٦٥ استنفدوا نحو ٥٤ ٪ من جملة سلاح المشاة المصري ، و ٨٠ ٪ من المدرعات ، و ٦٨ ٪ من المدفعية ، و ٨١ ٪ من المقاتلات القاذفة ، و ٧٦ ٪ من المقاتلات التي كانت تملكها مصر وقتذاك .

وكان هذا الوضع يخدم خطط إسرائيل التي كانت قد عقدت العزم ، بعد إجبارها على الانسحاب من سيناء وقطاع غزة في ٦ مارس ١٩٥٧ على أن تعيد الكرة ، بعد أن تعالج أوجه القصور العسكري وأسباب الفشل السياسي الذي حرمها من أن تحتفظ بالمكاسب العسكرية في جولة ١٩٥٦ .

فمسرح اليمن يجذب أفضل الوحدات المقاتلة المصرية ، حيث تستهلك معداتها وذخائرها فوق جباله ووهاده في حرب يختلف مسرحها وأسلوبها اختلافًا تامًا عن مسرح سيناء . والنصر السياسي الذي كانت الزعامة المصرية قد حققته ببراعة في تلك الجولة

حجب الأخطاء الجسيمة وأوجه القصور الخطيرة في التخطيط والأداء العسكري ، خاصة في القوات الجوية ، وفي تخطيط وأسلوب انسحاب القوات من سيناء الذي كان مثالاً للفوضى والانفلات العسكري .

وفي منتصف عام ١٩٦٣ حل الجفاء في العلاقة بين الرئيس عبد الناصر والرئيس جون كينيدي الذي راح يثير مسألة اليمن وصناعة الصواريخ بالعلماء الألمان في مصر . ولما طلبت الولايات المتحدة حق التفتيش على المنشآت النووية بمصر انهدم صرح التفاهم بينهما ، ثم وقعت حادثة اغتيال كينيدي وتولى الرئيس ليندون جونسون السلطة فدخلت العلاقات الأمريكية المصرية في مرحلة عداء وتوتر شديد نظرًا لانحياز جونسون الكامل لإسرائيل قلبًا وقالبًا .

وقامت إدارة المخابرات البريطانية برفع مذكرة للسير اليك دوجلاس هيوم رئيس الوزراء ووزير الخارجية تقترح فيها زيادة أعباء الوجود المصري باليمن إلى الدرجة التي تستهلك اقتصاد مصر في مسرح ثانوي ، يهدر قوتها العسكرية ويفسد مفاهيمها عن تكتيكات الحرب الحديثة . وقد كان طول شريان المواصلات بين مصر واليمن وطبيعة أرض اليمن البالغة الوعورة ضمانتين لسرعة استنزاف اقتصاد مصر وقواتها المسلحة إلى الدرجة التي سوف توقع بها الضرر الأكيد .

وفي مؤتمر القمة العربي الأول الذي عقد يوم ١٣ يناير ١٩٦٤ ، عادت مصر إلى ممارسة زعامتها على الوطن العربي وكتلة الحياد الإيجابي إلى جانب بلجراد ونيودلهي . وعلى الطرف المضاد زاد الرئيس جونسون من دعمه لإسرائيل فأعلن يوم ٦ فبراير ١٩٦٦ خلال حملة جمع تبرعات لمعهد وايزمان بأن حكومته قررت مساعدة إسرائيل في تحلية مياه البحر المالح ضمن سياسه استخدام الذرَّة سلميًا ، وأنها تعتزم الوقوف إلى جانب أية دولة تتعرض للعدوان في منطقة الشرق الأوسط .

وكان ذلك ردًا على رسالة ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل ، الذي خلف بن جوريون والتي أخطره فيها أن قرارات مؤتمر القمة العربي الأول قد تضمنت تهديدًا خطيرًا لإسرائيل باستخدام القوة المسلحة العربية ضدها ، وهو ما لا يجمل بالولايات المتحدة أن تتغاضى عنه .

وبمجرد أن شعرت إسرائيل بوقوف الرئيس جونسون إلى جانبها قلبًا وقالبًا . قامت

بشن غارة جوية فوق دمشق يوم ١٤ نوفمبر ١٩٦٤ ، أسقطت خلالها ١٥ طائرة سورية . وبإعادة انتخاب الرئيس جونسون أوقف المعونة الأمريكية لمصر والبالغ قدرها ١٠٠ مليون دولار سنويًا ، كما منع تصدير القمح إليها ، وشدد الحصار الاقتصادي عليها ، وصاحب كل ذلك حملة دعائية جائرة على مصر من وسائل الإعلام الغربية .

وفي نفس الوقت تصاعدت حدّة الأزمة بين القاهرة وبون بعد كشف الستار عن صفقة الصواريخ الألمانية لإسرائيل ، ثم اعتراف حكومة مصر بحكومة ألمانيا الشرقية . وعادت تقارير المخابرات الغربية تؤكد على ضرورة الحرب لإيقاع هزيمة مهينة بالرئيس عبد الناصر ، أو تدبير خطة لاغتياله .

وفي مطلع عام ١٩٦٧ كان الوجود العسكري المصري في اليمن قد مضى عليه خمس سنوات مضنية أضرت بقدراته القتالية ، وبمستواه الفني ، وبدرجة صلاحية معداته ، وكان عدد الضباط الذين يخدمون باليمن في إبريل ١٩٦٧ قد وصل إلى ٢٢٠٩ ، والرتب الأخرى إلى ٣٢٥٥٩ ، والمدنيين إلى ١٨١٦ ، أي ما مجموعه ٣٦٥٦٤ فردًا ، كان عدد مماثل لهم في طريق العودة لمصر بعد خدمته باليمن ، بينما عدد ثالث يتأهب للذهاب إليها كغيار للعدد الذي يخدم هناك بعد انتهاء مدة خدمته ، ويعني ذلك أن نحو مائة ألف فرد من القوات المسلحة المصرية كانوا وقفًا على خدمة مسرح اليمن بالتناوب فيما بينهم .

وبالنسبة لباقي جبهات الطوق العربي فقد كان جيش العراق يخوض صراعًا دمويًا مع الأكراد ، بينما جيش الأردن يعيد تنظيم قواته ، وجيش سوريا قد امتصت الانقلابات الكثيرة المتتالية قدرته القتالية ، وأصابته بحالة من الشلل الميداني ، أما التضامن العربي فقد اختفى من الساحة ، فكان العرب نتيجة ذلك في أدنى حالات التأهب العسكري للتورط في حرب جديدة .

ولم تكن إسرائيل غافلة عن هذه الحقيقة ، بل كانت تنتظر لحظة استفحالها وتغيّر الظروف الدولية بما يسمح لها بتكرار محاولة خريف ١٩٥٦ ، لتكون الجولة القادمة هي « الحرب التي تنهي كل الحروب » .

ولهذا شرع حكام إسرائيل في حشد الإمكانيات ، وتوفير الضروريات ، وكسب الرأي العام العالمي ، ورسم الخطط التي تحقق الهدف المنشود وتبرئته من تهمة التواطؤ ، وإقناع العالم أجمع بأنه عمل عسكري اضطراري ومشروع لاستمرار البقاء .

وفي صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ كانت الخلبة قد تم تجهيزها من كافة النواحي لإيقاع الهزيمة الكاملة بالعرب ، هزيمة لا يعيبها تواطؤ سافر مثلما حدث عام ١٩٥٦ ، ولا يصلح معها عذر بأن إحدى أو بعض جبهات الطوق العربي قد تقاعست عن القتال وأنها لو فعلت لتغيرت النتيجة ، ولهذا كان إصرار إسرائيل على أن يكون النصر خالصًا على كل الجبهات ، وبلا أدنى شائبة عن تواطؤ . وقد تم لها ذلك في أقل من ستة أيام .

الجولة العربية الإسرائيلية الثالثة
(صيف عام ١٩٦٧)

زعم الكيان الصهيوني أنه اضطر إلى شن ضربة إجهاض جوية ليسبق بها ما اعتزم العرب أن يفعلوه . وقد حسبت الأركان العامة الإسرائيلية توقيتات تلك الضربة الجوية الشاملة بدقة بالغة ، وصحبتها ببلاغ كاذب عن زحف القوات المصرية على النقب ، واختراق طائراتها المجال الجوي الإسرائيلي .

وكانت الخطة التي أطلق عليها اسم « ضربة كولومبس » قد تم رسمها منذ سنوات كثيرة ، وصار التدريب عليها حتى صرح اللواء مردخاي هود قائد السلاح الجوي بقوله : « لقد استوعبنا الخطة ، وتدربنا على الخطة ، وراجعنا الخطة حتى سرت الخطة في دمائنا » .

وتحت مظلة من ٤٠ طائرة ميراج انقضت ٤٠ مقاتلة قاذفة - أغلبها من طراز المستير - في الساعة التاسعة إلا الربع صباحًا على تسعة مطارات مصرية في مجموعات صغيرة من ٤ طائرات ، فدمَّرت ممرات الإقلاع والهبوط وما حولها من طائرات . ولم تكن الخطة تسمح بأكثر من عشر دقائق فوق كل هدف ، حتى يبقى من الوقود ما يكفي للعودة إلى مطارات الإقلاع ، لا سيما وقد استهلكت رحلة الذهاب الجزء الأكبر منه لحرص الطائرات على الاقتراب من فريستها على ارتفاع منخفض جدًا ، مما زاد من استهلاك الوقود أضعافًا مضاعفة .

وكانت تلك المدة الوجيزة لا تسمح بأكثر من أربعة انقضاضات على الأهداف المنتخبة مسبقًا والتي يعلمها الطيار بدقة بالغة ، فيقصفها بالرشاشات ، ثم بالقنابل لتدمير الممرات ، ثم ينشر المفرقعات الزمنية حولها لتعطيل عمليات الإصلاح وجعلها عرضة للتوقف والخسائر البشرية .

وبفضل نوع مبتكر من قنابل تدمير الممرات التي لا تنفجر إلا بعد أن تغوص في بطن الممر بالعمق الكافي حدثت حفر كبيرة يحتاج ردمها إلى ساعات طويلة . وعندما حلت الساعة ١٠٣٥ تحولت الطائرات المغيرة إلى ٨ مطارات أخرى في العمق ، فلم ينته يوم ٥

يونيو حتى كان ١٧ مطارًا قد تم تدميرها بكل ما فيها من طائرات ومنشآت ، إلى جانب ١٦ جهاز رادار كانت منتشرة في شبه جزيرة سيناء .

وبعد ٣ دقائق من مغادرة الموجة الأولى للمطارات المضروبة وصلت الموجة الثانية من ٤٠ طائرة أيضًا لتشن الهجوم الثاني على نفس المطارات ، ثم تلتها الموجة الثالثة بنفس الترتيب ، وهكذا حتى بلغ عدد تلك الموجات ثمان استغرق عملها ٨٠ دقيقة أعقبها فاصل مدته ١٠ دقائق قبل أن تبدأ الموجات الثمان التالية عملها تباعًا وبنفس الأسلوب والتوقيت ، وضد نفس الأهداف .

وهكذا تم الأمر فيما بين الساعة التاسعة إلا ربعًا والساعة الثانية عشرة إلا ربعًا من ذلك الصباح ، وانفرد قائد القوات الجوية والدفاع الجوي المصري بأنه الوحيد الذي فقد سلاحه مرتين خلال حقبة واحدة من الزمن (١٩٥٦ - ١٩٦٧) .

وقرب العصر راحت الطائرات الإسرائيلية تهاجم مطارات الأردن فسوريا فالعراق ، فلم تغرب الشمس حتى كانت قد امتلكت السيادة الجوية غير المنازعة في سماء المسرح .

وعلى الرغم من وجود قيادة عربية مشتركة ، وقيادة موحدة ، فإنهما ظلتا خامدتين منذ لحظة بدء العدوان حتى انتهائه ، بل كان قادتهما يتابعون أحداث القتال عن طريق المذياع . ولو مارست إحداهما مسؤولياتها لأمكن حشد أضعاف ما فقدته دول الطوق من طائرات لتواجه بها إسرائيل صباح اليوم التالي فيخيب أملها وتجد نفسها في موقف لم تكن تتوقع أن تصادفه ، لا سيما وأن أغلب ما تم تدميره من ممرات بالمطارات أمكن إصلاحه قبل أن يبزغ فجر ٦ يونيو .

ومما أثار دهشة العرب سرعة معدل الهجوم الإسرائيلي الجوي نتيجة نجاح الخدمة الأرضية في إعادة تجهيز الطائرات بلوازمها قبل إقلاعها للمرة التالية فيما لا يتجاوز العشر دقائق ، مما دفع البعض إلى الظن بسبب ذلك أن ثمة طائرات أجنبية تشترك في الضربة مع إسرائيل .

والواقع . . أن الخدمة الأرضية الإسرائيلية مكنت طائراتها من أن تحقق أكثر من ٨ طلعات في اليوم الأول للهجوم ، بينما لم يكن المصريون يتوقعون أكثر من أربع طلعات على أسوأ الفروض .

وعلى الجانب المضاد .. لم تكن أجهزة الإنذار العربية تستطيع التقاط الطائرات المغيرة على الارتفاعات المنخفضة ، كما أن حالة التسيب التي كانت عليها القوات الجوية المصرية صباح يوم ٥ يونيو أسهمت بدورها في نجاح الضربة الجوية الشاملة التي استخدمت إسرائيل فيها ٢٦٠ طائرة ، بينما احتفظت بعدد ١٢ طائرة للدفاع عن سماء إسرائيل ، وعدد ٦٠ طائرة تدريب فوجا ماجستير بعد تسليحها لدعم التشكيلات البرية في هجومها على سيناء ، حيث كانت الطائرات الأخرى منهمكة تمامًا في تنفيذ الضربة الجوية .

لقد خطَّط الصهاينة بالتعاون مع البنتاجون الأمريكي لهذه الضربة الجوية الشاملة لعشر سنوات سلفت ، واعترف طيار إسرائيلي أسير أنه ظل يتدرب على مهمته على مجسَّم ، مماثل تمامًا للهدف المطلوب تدميره لمدة ١٦ شهرًا .

وكتمت إسرائيل النصر عن عمد حتى تفسح لقواتها البرية فرصة إنجاز مهامها القتالية ، قبل أن يتدخل مجلس الأمن أو يتحرك الاتحاد السوفيتي لنجدة حلفائه العرب . وقد أكدَّ قائد السلاح الجوي الإسرائيلي أنه دمّر ٣٠٩ طائرة مصرية ، و ٦٠ سورية ، و ١٧ عراقية ، و ٢٧ أردنية ، وواحدة لبنانية بمجموع كلي ٤١٤ طائرة مقابل ٤٦ طائرة و ١٦ طيارًا .

ورغم أن قائد القوات الجوية والدفاع الجوي المصري ظل في منصبه ١٤ عامًا متتالية ، كان قد تعرض في بدايتها لضربة جوية شاملة ليلية الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ قضت على طائراته ومطاراته .. فإن الدروس المستفادة منها لم يظهر لها أثر في تجربته الأليمة الثانية يوم الإثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ . فليس هناك مبرر لترك الطائرات مصطفة على النحو الذي كانت عليه مساء يوم ٣١ أكتوبر ، ثم صباح يوم ٥ يونيو الكئيب ، كما إن ضعف الدفاع الجوي عن المطارات كان على درجة لا يصدقها أحد . فإذا أضفنا إلى ذلك حرصه الزائد على أن يحتفظ بالمركزية المطلقة في يده ، فإن أحدًا من مرؤوسيه لم يجرؤ على التصرف عندما وقعت الواقعة بينما هذا القائد في طائرة المشير المتجه إلى سيناء حيث شاهد وهو في الجو مطارات القناة وهي مشتعلة بالنيران ، فعاد لتوه إلى مطار القاهرة الدولي ليجد أن القضية قد حسمت ، وأنه لم يعد يملك سوى الانخراط في البكاء على اللبن المسكوب .

والواقع أن كل الدفوع التي أدلى بها كبار ضباط القوات الجوية والدفاع الجوي المصري ، وما ساقوه من ذرائع لا يبرر الهزيمة الفادحة التي تسببوا فيها صباح الخامس من يونيو . فلا نقص الاعتمادات ، ولا ضغط المصروفات ، ولا ترك الضربة الأولى للعدو أقنع أحدًا بتبرير ما حدث ، أو أبعد المسؤولية عمن تسبب فيه .

فهذه القيادة هي التي قدرت خسائرها - إذا ما تركت للعدو الضربة الأولى - بنحو ١٥ - ٢٠ ٪ ، وقد شاركها خبراؤها السوفيت في هذا التقدير الخاطئ ، الذي كان يجب عليهم أن يصححوه لو عادوا إلى تجاربهم المماثلة في بداية حربهم مع ألمانيا عام ١٩٤١ .

فإذا أضفنا إلى ما سبق عدم توفر وسيلة إنذار ضد الطيران المنخفض ، وضعف قدرة الدفاع الجوي من صواريخ ومدافع ورشاشات عن وقاية الأهداف الموكلة إليه ، لاكتمل أحد الأسباب الرئيسية لما انتهت إليه الجولة الثالثة من هزيمة ، والتي لو بذلوا بعض الجهد الذي بذلوه بعدها للتنصل منها في محاولة درأها بجديَّة ، لما وقعت بهذه الدرجة من الشمول والدمار .

ثانيا - العمليات البرية

اكتمل لإسرائيل مع مطلع شهر يونيو ١٩٦٧ الموقف الدولي المتعاطف ، والحشد العسكري المتفوّق الذي ناهز ربع المليون مقاتل ، كان ٥٠ ألفًا منهم من الإلزاميين ، و ٢٠٠ ألف من الاحتياطي الخط الأول الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٢ و ٣٩ سنة ، ويملكون خبرة قتالية عالية من واقع ما خاضوه من حروب سابقة وإغارات كثيرة ، فضلاً عن المناورات والتدريبات الواقعية على نفس مهام القتال المقبلة ، حتى صاروا بمثابة القوة الضاربة الرئيسية لجيش إسرائيل .

وكانت تلك القوة البرية الضاربة قد نمت بفضل أسلوب التجنيد والتعبئة الذي اعتبر الفترة الإلزامية مجرد دراسة لفنون القتال ، بينما وجّه خدمة الاحتياط للتطبيق الميداني والقتال الفعلي ، فزاد بفضل ذلك حجم القوات البرية من ١٨ لواء في الجولة الثانية خريف ١٩٥٦ إلى ٢٥ لواء في هذه الجولة ، منها ٩ ألوية مدرعة و ٢ ميكانيكي و ١٠ مشاة بعضها

شبه ميكانيكي ، و ٤ مظلي ، علاوة على ١٥ لواء آخر من جنود حرس الحدود والدفاع المحلي ، يناهز عددهم ٧٠ ألفًا .

ويوضح الجدول التالي المقارنة العددية

بين تلك القوات وبين القوات العربية لدول الطوق .

البيان	القوات العربية			إجمالي القوات العربية	المقارنة		القوات الإسرائيلية	ملاحظات
	مصر	الأردن	سوريا		العرب	إسرائيل		
مقاتلون	٢١٠ر٠٠٠	٥٥ر٠٠٠	٦٣ر٠٠٠	٣٢٨ر٠٠٠	١,٣	١	٢٥٠ر٠٠٠	
لواءات	٢٢	١٠	١٢	٤٢	١,٧	١	٢٥	
قطع مدفعية	٥٧٥	٢٦٣	٣١٥	٩٦٠	٤,٨	١	٢٠٠	
دبابات	١٣٠٠	٢٨٨	٧٥٠	٢٣٣٠	٢,٣	١	١٠٠٠	
مجنزرات	١٠٥٠	٢١٠	٥٨٥	١٨٤٥	١,٢	١	١٥٠٠	
صواريخ سطح جو	١٦٠	—	--	١٦٠	٣,٢	١	٥٠	
مدافع مضادة للطائرات	٩٥٠	١٤٣	١٠٠٠	٢٠٠٠	٣,٦	١	٥٥٠	
طائرات حربية	٤٣١	٢٧	١٢٧	٥٨٥	٢	١	٢٧٧	

واعتمد الفريق إسحق رابين عند وضع خطة " الملاءة الحمراء " للهجوم العام على جبهات دول الطوق العربي ، على أسلوب الحرب الخاطفة التي تلتزم بالسرعة في الزحف والسرعة في نقل ثقل الهجوم بين الاتجاهات التعبوية المختلفة في المسرح الواحد ، وبينه وبين سائر المسارح الأخرى لنشر الفوضى والاضطراب بين صفوف العرب ، وشل تفكير قياداتهم ، تحقيقًا لمأثورة الجنرال هانز جودريان قائد البانزر الألماني « احرص على المزيد من السرعة ، مع المزيد من الجرأة » .

أشكال المناورة البرية الإسرائيلية :

نظرًا لعدم انطباق حدود المناطق العسكرية الإسرائيلية على حدود جبهات دول الطوق العربية فيما عدا جبهة سيناء . . فقد كُلِّف العميد عوزي ناركيس بالهجوم على القسم الجنوبي من الجبهة الأردنية ، بينما كُلف العميد دافيد اليعازر بالهجوم على قسمها الشمالي إلى جانب الهجوم على الجولان ، أمّا العميد يشعيا هوجافيش فقد كلِّف بالهجوم على جبهة سيناء .

واشتملت خطة الهجوم على شن ١١ ضربة رئيسية وثانوية ضد جبهات سيناء ، فوسط وشمال الأردن ، فالجولان على التعاقب وبتتابع سريع ، يهدف إلى هز اتزان تلك الجهات ، ثم اختراقها بعمق وبمعدل سريع لتطويق دفاعاتها الأمامية وحجز قواتها المنسحبة عند مانع طبيعي ضخم ، يسهل تدميرها فوقه قبل التحول لتعزيز النجاح على الخط المكتسب ، الذي يؤمِّن ضم أكبر شريحة أرضية ممكنة من أرض العرب .

وكان نصيب جبهة سيناء أربع حركات مناورة التفاف وتطويق إحداها ثانوية ، ووسط جبهة الأردن ثلاثًا ، أما شمال الجبهة وكذلك جبهة الجولان فكان نصيب كل منهما مناورتان رئيسيتان . وقد اهتمت خطة الهجوم البري أيضًا برسم حركات المناورة سالفة الذكر ، بحيث تتلاءم مع تضاريس الأرض وسعة المحاور وأوضاع القوات التي تدافع عنها ، ولذلك . . فقد تمَّت أغلب تلك المناورات على امتداد المحاور التكتيكية والتعبوية التي تخترق تلك الجبهات طولاً وعرضًا ، وفي شكل حركات التفاف قريب أو تطويق بعيد . كما أخذ بعضها شكل الكمَّاشة لعزل البلدان والمدن ذات الكثافة السكانية العالية ، أو تجنُّب المناطق الحصينة بعد قطع خطوط اتصالها بالمؤخرة ، ثم تركها تسقط كالثمرة الناضجة .

ونظرًا لاختلاف السعات التكتيكية والتعبوية لتلك المحاور المتعددة . . فقد اختلف حجم القوات المخصصة لها فتراوح بين الكتيبة واللواء والفرقة ، كما بلغت معدلات انتقال الجهد الرئيسي للهجوم بين المحاور ، وكذلك بين الجبهات شأوًا كبيرًا ؛ إذ بدأت بالهجوم على جبهة سيناء صباح ٥ يونيو ، فوسط وشمال جبهة الأردن ظهر وعصر نفس اليوم ، فالجبهة السورية صباح ٩ يونيو ، ثم حسمت الحرب بالنصر مساء ١٠ يونيو أي فيما لا يتجاوز الستة أيام فقط .

فإذا ما قارنا بين تلك المدة التي تم خلالها اكتساح ثلاث جبهات بالمدة التي استغرقها الهجوم على جبهة سيناء بمفردها في خريف ١٩٥٦ ، والتي تجاوزت السبعة أيام لظهر لنا مدى التقدم الكبير الذي طرأ على آلة الحرب الإسرائيلية خلال الأحد عشر عامًا التي تفصل بينهما ، مقابل التدهور الخطير في نفس الآلة على الجانب العربي .

سير الحوادث على الجبهة المصرية :

بعد ثلاثة أسابيع من التحركات الكثيفة على غير هدى ودون هدف معلوم ، والتي راح القائد العام المصري يأمر بها تباعًا حتى أجهد القوات ، وأنهكها القيظ والعطش ، وأربكها

غموض المهام ، انتهت الحال بقوات القيادة الشرقية وقد تمركزت الفرقة ٧ المشاة على الاتجاه التعبوي الشمالي فيما بين رفح والعريش ، والفرقة ٢ المشاة على الاتجاه الأوسط فيما بين أبوعويقيلة والقصيمة ، فالفرقة ٦ المشاة الميكانيكية على الاتجاه الجنوبي فيما بين الكونتلا ونخل ، بينما احتلت الفرقة ٣ المشاة الخط الثاني في الخلف بين جبل لبنى وبير الحسنة ، وإلى الشرق منها القوة الخفيفة المشكلة من لواء مدرع ولواء فدائيين حول وادي لصان والمعين . أما الفرقة ٤ المدرعة - وهي التي كانت تشكل القوة الضاربة والاحتياط الاستراتيجي للدولة - فقد تمركزت حول بير الجفجافة على الاتجاه الأوسط .

وكان هناك لواء آخر من المظليين في منطقة شرم الشيخ لقفل خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية ، ولواء من جنود الاحتياطي في منطقة ممر الجدي ، وبهذا بلغ حجم تلك القوات نحو ١٠٠ ألف مقاتل و ٩٣٠ دبابة ، تمركز الجزء الأكبر منها في وسط وجنوب الجبهة فيما بين أبو عويقيلة على الاتجاه الأوسط والكونتلا على الاتجاه الجنوبي .

ولهذا اعتزم العميد يشعياهو جافيتش قائد الجبهة الجنوبية الإسرائيلية أن يستهل هجومه على سيناء بتطويق الدفاعات من جهة الشمال حول رفح ، على عكس ما فعل سلفه العميد عساف سمحوني إبان الجولة الثانية في خريف ١٩٥٦ ، عندما بدأ تطويقها من الجنوب حول القصيمة وأم قطف ، نظرًا لتمركز أغلب الدفاعات وقتذاك في الشمال . هذا وقد ناهز حجم القوات التي وضعت تحت قيادة جافيش ٧٠ ألف مقاتل ونحو ٧٥٠ دبابة .

ووقعت الضربة البسرية الأولى بلوائين مدرعين ولواء مظلي ولواء مشاة وفوج مدرع خفيف بإجمالي ١٥ ألف مقاتل و ٢٥٠ دبابة تحت قيادة العميد إسرائيل طال ، الذي أدار حركة كماشة حول رفح من الشمال عند خان يونس ، ومن الجنوب حول درب المصري ليلتقي فكاها خلف الشيخ زويدّ ، ثم يواصلا الاندفاع غربًا حتى العريش فالقنطرة ، بينما ينفصل قسم منها عند العريش ليتجه جنوبًا إلى المطار ثم بير لحفن فالحسنة .

ووقعت الضربة الثانية بلواء مشاة ولواء مدرع ولواء مظلي بإجمالي ١٥ ألف مقاتل و ١٥٠ دبابة تحت قيادة العميد أرييل شارون الذي اندفع بها من العوجة غربًا على محورين ، هاجم المحور الشمالي دفاعات أم قطف من ناحية غرود مكسر الفناجيل ، التي كانت القوات المصرية تعتبرها غير صالحة للتحركات فكانت سببًا في مفاجأتها وهزيمتها ، بينما التف المحور الجنوبي حول أم القطف وهاجمها من الخلف عند سد الضيّقة .

أما الضربة الثالثة فقام بها العميد أبرهام يوفيه بلوائين مدرعين كل من ١٠٠ دبابة سنتوريان ، اندفعت بين قوات طال وقوات شارون عبر وادي الحريضين الذي كان يعتبره المصريون أيضًا غير صالح للتحركات الكبيرة ففاجأ قوات بير لحفن المكونة من كتيبة مشاة ، ثم زرع الكمين جنوبها حيث قضى على الضربة المضادة التي وجهها القائد العام من الحسنة لتستعيد الأوضاع على الاتجاه الشمالي ، والتي تشكلت من لواء مشاة وآخر مدرع ، ودفعت في عجلة وعشوائية غريبة لتنفذ مهمة غامضة دون أن تزوَّد بمعلومات كافية عنها .

يبقى الهجوم التثبيتي في أقصى الجنوب ، والذي قام به العقيد البرت ماندلر بلواء ميكانيكي في مواجهة الكونتلا ، لحجز القوات الضخمة أمامه ومنعها من التدخل في المعارك الرئيسية في وسط وشمال سيناء .

وفي أقصى الشمال قام العقيد يهودا رشيف باجتياح قطاع غزة من الجنوب للشمال ، على عكس ما فعل سلفه دافيد اليعازر في الجولة الثانية ، عندما اجتاحه من الشمال قرب غزة إلى الجنوب حتى رفح .

وكان على قوات العميد جافيتش بعد أن تخترق الجبهة وتهزم خط الدفاع الثاني حول الحسنة أن تندفع إلى المضايق القريبة لسيناء عند رمانة والجفجافة والجدي ومتلا لتحجز القوات المنسحبة هناك ؛ توطئة للقضاء عليها بالقوات الجوية والقوات البرية اللاحقة ، ثم تستغل النجاح حتى الضفة الشرقية لقناة السويس .

ونتيجة لعنف الضربة الجوية الشاملة ونجاحها في مفاجأة وتحطيم الغطاء الجوي العربي في المسرح ، وما تبع ذلك من مناورات برية عميقة داخل سيناء مزقت النطاق الدفاعي الأمامي فيما بين رفح والكونتلا . . فقد اهتز القائد العام ، وبادر دون استشارة هيئة العمليات الحربية ، أو قائد الجبهة ، أو قائد الجيش الميداني ، بإصدار أمره - سيء الحظ - بإخلاء سيناء من كافة القوات في بحر ٢٤ ساعة ، مع تدمير كافة الأسلحة الثقيلة ، والعودة بالخفيفة فقط .

وهكذا وقعت شبه الجزيرة كلها تحت الاحتلال الإسرائيلي للمرة الثانية في غضون حقبة زمنية واحدة تقريبًا ، الأولى للنجاة من الفخ الذي أعده العدوان الثلاثي للجيش داخل أعماقها ، والثانية ليضيع الجيش وتخسر مصر عتادها وسمعتها وأراضيها نتيجة قرار أخرق ، لم تكن تبرره الأوضاع السائدة بينما تسبب في ضياع نحو ٧٠٠ دبابة ، و ٤٠٠

مدفع ميدان وما يزيد على ١٠ آلاف عربة ومجنزرة ، فضلاً عن النزول للعدو عن نصر أطلق عليه العالم اسم « نصر الخمسة نجوم » . أما خسائر الأفراد فكانت فادحة حقًا إذ بلغت ١١٥٠٠ شهيد وجريح ، مقابل ١٣٠٠ قتيل وجريح إسرائيلي .

ثانيا : وسط الجبهة الأردنية :

حددت محاور التقدم في هذا القسم من الجبهة الأردنية اتجاهات المناورة الإسرائيلية ؛ إذ تميزت طبيعة الأرض بضيق تلك المحاور لاختراقها سلاسل جبلية وعرة ؛ مما حد من حجم قوات إسرائيل فيما لا يزيد عن لواء وأحيانًا الكتيبة ، وليس حجم الفرقة على نحو ما شهدته جبهة سيناء .

لقد تمركز جيش الأردن في الضفة الغربية داخل قطاعين دفاعيين حول بلدتي جنين ونابلس في الشمال ، والقدس والخليل في الجنوب . واحتلت الدفاعات خمسة لواءات مشاة ولواءان مدرعان تمركزا غرب جسر الدامية وشرق القدس على الترتيب .

ووقع على العميد عوزي ناركيس قائد الجبهة الوسطى مهمة شن الهجوم على مواجهة ١٦ كيلومترًا لاحتلال كل من القدس ورام الله ، ثم استغلال النجاح في اتجاه أريحا شرقًا وبيت لحم جنوبًا .

وأعد ناركيس أربعة لواءات لتنفيذ ثلاث مناورات كانت الجنوبية منها هي الرئيسية ، وقد خصص لها اللواء عتصيونى ولواء مظلي لاقتحام مدينة القدس ، ثم الاندفاع شرقًا وجنوبًا صوب أريحا وبيت لحم .

ووقع على اللواء هارئيل عبء المناورة الثانية على مسافة ٨ كيلومترات شمالاً ، وذلك بالزحف من أبو غوش في اتجاه النبي صمويل ثم تل الغول ، حيث ينقسم عنده إلى قسمين : ينطلق القسم الشمالي منهما إلى رام الله ليتم حركة الكماشة حولها بالتعاون مع القوات التي خصصت للاستيلاء عليها ، بينما يتجه القسم الجنوبي نحو الشيخ جسراح (حيث دفن الصحابي الجليل أبو عبيده عامر بن الجراح أمين هذه الأمة بعد وفاته في طاعون عمواس الشهير) ليتعاون مع اللواء عتصيونى واللواء المظلي سالفي الذكر في الاستيلاء على القدس .

أما لواء العقيد يوطفان فقد خصص له محور هجوم على مسافة ٨ كيلومترات ، شمال

محور اللواء هارئيل ، فكان عليه أن يندفع من رحوبوت إلى اللطرون ، فبيت نوبا ، فسر بيت هارون ليقتحم رام الله ويستولي عليها .

وقد تمت تلك المناورات الثلاث فيما بين عصر يوم ٥ وضحى يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ بمعدل تقدم بطيء جدًا لم يتجاوز ١٠ كيلومترات في اليوم ، نظرًا لعنف المقاومة مع وعورة الأرض . وبلغت خسائر الأردن نحو ألف شهيد وجريح مقابل ٢٠٠ قتيل و ٦٠٠ جريح إسرائيلي .

ثالثًا- شمال الجبهة الأردنية :

ارتكزت الدفاعات الأردنية في هذا الجزء الشمالي من الضفة حول بلدتي نابلس وجنين اللتين يصل بينهما طريق شرقي يمر ببلدة طوباس ، وآخر غربي يمر بدير الشراع . وقد احتل هذا الجزء ثلاثة لواءات مشاة ولواء مدرع ، وكتيبتا مشاة مستقلتان ، وكتيبتان مدرعتان .

وبينما كان اللواء ٢٥ المشاة مسؤولاً عن الدفاع عن بلدة جنين في الشمال ، كان لواء الأميرة عالية يدافع عن بلدة نابلس الواقعة على بعد ٣٠ كيلومترًا جنوبها .

وكانت الأركان العامة الإسرائيلية قد وضعت تحت قيادة العميد دافيد اليعازر قائد المنطقة العسكرية الشمالية أربعة لواءات مشاة قرب الحدود ، أحدها في مواجهة لبنان ، واثنان في الجليل الشرقي مقابل سوريا ، والرابع جنوب الناصرة . كما احتفظ اليعازر بفرقة مدرعة كاملة في الجليل الأوسط ، تحت قيادة العميد اليعاد بليد كاحتياطي على تلك الجبهة .

وكان على اليعازر أن يستولي على القسم الشمالي من الجبهة الأردنية حتى النهر عند جسر الدامية ، ولهذا شن هجومه في الساعة الثالثة عصرًا يوم ٥ يونيو بحركتي كماشة بلوائين مدرعين ، تقدم كل منهما في رتلين للإطباق على بلدة جنين من الجنوب الغربي ومن الجنوب ، على أن يستغل الأول النجاح في اتجاه جسر الدامية ، بينما ينطلق الآخر إلى بلدة نابلس ليستولي عليها .

وقامت المقاتلات القاذفة الإسرائيلية في مستهل الهجوم بقصف المواقع الدفاعية بتركيز شديد ، فضلاً عن إسكات سرية المدافع ١٥٥ ملليمترًا جنوب غرب جنين ، التي كانت توفر عنصر النيران الرئيسي لدفاعاتها .

وبعد معارك ضارية في كل من جنين وقباطية وزبادية ونابلس . . تمكنت قوات العميد اليعازر من اكتساح الدفاعات ، واحتلال شمال ضفة الأردن حتى النهر حيث توقف إطلاق النيران في الثامنة مساء ٧ يونيو ، بعد أن تركت القوات الأردنية وراءها ٦٩٦ شهيداً و ٣١١٧ جريحًا ، مقابل ٥٥٠ قتيلاً و ٢٤٠٠ جريح إسرائيلي .

رابعًا- الجبهة السورية :

تشكَّلت القوات السورية في هضبة الجولان في ثلاث مجموعات عمليات ، كل في حجم الفرقة تقريبًا ، ومجموعة رابعة في الاحتياطي العام فيما بين القنيطرة ودمشق . وتمركزت المجموعات الثلاث الأمامية في مواقع مجهزة للدفاع عن محور جسر بنات يعقوب - القنيطرة ، ومحوز فيق - العال - الرشيد .

وظلت جبهة الجولان هادئة حتى ٩ يونيو فيما عدا بعض التراشقات بالمدفعية وعدد من الغارات الإسرائيلية الانتقامية ، حتى صدر الأمر للعميد اليعازر بالهجوم يوم ٨ ، إلا أن موشيه ديان أجَّله إلى يوم ٩ ليتيح للقصف الجوي فرصة أكبر لتليين الدفاعات السورية ، ونقل المزيد من القوات الإسرائيلية من الجبهتين المصرية والأردنية إلى الجولان ، علاوة على إعطاء فترة راحة أطول للمقاتلين الذين ظلوا يعملون منذ صباح ٥ يونيو .

وقضت خطة الهجوم بدفع حركتي مناورة إحداهما رئيسية في الشمال بقيادة العميد دان لانر الذي كان عليه أن يزج فرقته في اتجاه تل العزيزيات لفتح الطريق إلى بانياس ، ثم استغلال النجاح في اتجاه مسعدة وحتى القنيطرة .

أما حركة المناورة الثانية فكانت جنوب ذلك في اتجاه الدربشية وجلابينا ، حيث كان على المظليين أن يتعاونوا مع المدرعات والقوات الجوية في الاستيلاء على بلدان التوافيق وفيق والعال والبوطمية ثم فتح الطريق الجنوبي إلى هضبة الجولان .

وبدأ الهجوم في الساعة الحادية عشرة والنصف من يوم ٩ يونيو بزحف الأرتال الإسرائيلية على المحورين سالفي الذكر ، وبعد صعود جرف الجولان بمساعدة مهندس الميدان والبولدوزرات اندفعت القوات نحو أهدافها النهائية بمعدل سريع ، حتى اتمت الاستيلاء على القنيطرة قبل أن تقبل حكومة إسرائيل وقف النيران في الساعة السادسة والنصف عصر ١٠ يونيو .

وقد سقط بتلك الجبهة ٦٠٠ شهيد سوري و ٧٠٠ جريح ، مقابل ١٢٧ قتيلاً و ٦٢٥ جريحًا إسرائيليًا .

الخلاصة :

عندما توقفت النيران في مسرح الجولة الثالثة مساء ١٠ يونيو ١٩٦٧ دخل على الخريطة السياسية والعسكرية للشرق الأوسط تغيير كبير ، حوَّل المشكلة الفلسطينية الإسرائيلية إلى مشكلة عربية صهيونية أضخم حجمًا وأكثر أطرافًا عما سبق .

وقد أثبتت الأركان العامة الإسرائيلية للمرة الثالثة أن التفوق العددي والنوعي الذي كانت تعززه المفاجأة والمناورات الجريئة والمعدلات السريعة تحت السيطرة الجوية ، هو الطريق السهل والأقل تكلفة لتحقيق النصر .

وعلى الجانب المضاد كانت القيادة العامة المصرية أشد خطرًا على جيشها من العدو ، حيث أنهكت قواتها في تحركات عشوائية وتبديلات متضاربة في الخطط ، ثم تخبطت في إدارة المعارك حتى وقعت في سقطة أمر الانسحاب العام الذي كان فيه الحكم على جيشها بالفناء .

والواقع أن سجل القوات المسلحة المصرية لا يحمل في صفحاته هزيمة بحجم هزيمة يونيو ١٩٦٧ التي كان هو ضحيتها ، والتي فقد فيها ١١ ألفًا من خيرة جنوده ، وما يزيد على ٨٠ ٪ من أسلحته ومعداته على يد فرد واحد كان يجلس فوق قمة قيادته . إلا أن ألم الهزيمة لم يدفع أحدًا إلى اليأس كما كان يتوقع العدو ويأمل ، فقبل أن تمر ست سنوات كان نفس الجنود ، يحققون بنفس الأسلحة والمعدات وضد نفس العدو ، نصر رمضان المجيد الذي كان صك البراءة من الأراجيف والترهات ، التي ألصقت بهم ظلمًا في صيف عام ١٩٦٧ .

الفصل الثاني

إعداد القوى العربية والمصرية قبل يونيو ١٩٦٧

تقديم:

استغلت مصر نجاحها السياسي عام ١٩٥٧ في إقامة الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨ ، والتي نجحت القوى الاستعمارية والصهيونية في تقويضها فحدث الانفصال في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، وحاولت مصر كسر الحصار السياسي المفروض عليها ، فعاونت الثورة اليمنية سياسيًا وعسكريًا واجتماعيًا واقتصاديًا منذ قيامها عام ١٩٦٢ ، مما كان له آثار عميقة على المخطط الاستعماري والصهيوني سبَّب سخطهما على مصر ، وكان سببًا رئيسيًا للعداء بين مصر والسعودية .

ولما قامت ثورة العراق اعترفت مصر رسميًا بالحكومة الثورية في العراق في ٨ فبراير ١٩٦٣ . . وكثر أعداء مصر ، وبدأت القوى الاستعمارية تخطط لضرب مصر في القلب والرأس ، وساعدها في ذلك أن مصر أرادت أن تقوم بمظاهرة عسكرية لإظهار القوة ، ففي يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ أعلنت حالة الطوارئ في القوات المسلحة المصرية ، ورفعت حالة الاستعداد إلى الحالة القصوى وتحركت القوات إلى أهدافها المخطط لها من قبل أو التي لم يخطط لها من قبل . . .

واختل ميزان أعداد القوى المصرية واختل ميزان رباط الخيل ، وكانت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية قد وضعت خطة للإعداد المعنوي للقوات المسلحة ، ولكن ليس على أساس من تربية العقيدة الإيمانية الصادقة بحيث يقتنع بها الضابط والجندي في القوات المسلحة المصرية بالعقل والقلب ، ولكن اتبعوا أساليب الكتب والنشرات والبحوث التي تشيد بأعمال ثورة ٢٣ يوليو وقادتها ورجالها ، وابتعدوا عن معاني الإيمان الصادقة وتربية

العقيدة الإيمانية السليمة عماد قوة الجيوش في الحروب ، بل في بعض الأحيان كانت المعنويات الدينية بين الجنود تحارب في الخفاء تارة وفي العلن تارات أكثر ، وتعرض كل من ينتمي إلى الإخوان المسلمين أو إلى أي صبغات دينية إلى النقل خارج القوات المسلحة ، إما إلى وظائف مدنية أو تحت الظل . وتسببت هذه الإجراءات في ازدياد الصراع الديني في الخفاء ، وكانت هذه الصراعات المكبوتة وقودًا ذريًا لتفجير ذرات الحقد الدفين من الشعب للقوات المسلحة بعد هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وكادت الهوة بين الشعب والجيش تزداد صراعًا ، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد لمصر الخير ، وأن تظل تنعم بظلال مظلة الإيمان التي تمسك بها شعب مصر ، وتحتمى بحبل الله المتين الذي ساعد المؤمنين على أن يخطو نحو طريق الله باتباع الطهارة ، فى القول والعمل والنوايا ، مع اليقين بالله سبحانه وتعالى والقرب منه ، فكانت معركة رأس العش نقطة تحول كبيرة تعد أول نصر مباشر بين قوة مصرية مؤمنة وقوة يهودية غاصبة .

وبدأت مصر في إعادة بناء قواتها المسلحة على أساس من مبادئ إيمانية صادقة ، واتجه الجميع إلى الله قولاً وفعلاً ، فخرقت أشعَّة الإيمان غيوم الانحلال وأنارت عقول الشباب وقلوبهم ، وبدأ القادة على اختلاف درجاتهم في الاتجاه إلى الله ومخاطبة الجنود مباشرة بما قاله الله سبحانه وتعالى ونادى به رسوله الكريم الأسوة الحسنة ، وبدأ ترمومتر الإيمان يشير إلى الارتفاع التدريجي ، ويحطم ذكرى هذه الأيام النحسات التي عشنا فيها فترة كئيبة تعيسة لا رجعة إليها إن شاء الله .

الخطة الدفاعية قاهر :

وضعت القيادة المصرية للقوات المسلحة بعد عدوان ١٩٥٦ الخطة الدفاعية قاهر ، للدفاع عن سيناء والحدود الشرقية لمصر ، وبدأت القوات المسلحة التدريب على مهامها في هذه الخطة مع الإعداد اللازم لتنفيذها ، وقد بنيت الخطة « قاهر » على أساس منع العدو من الاختراق ، والوصول إلى قناة السويس ، وتدمير قوة العدو التي تنجح في الاختراق ، توطئة للقيام بالهجوم المضاد . واستلزم الأمر تأكيد تفهم الوحدات للخطة ومعرفة موقف الاستعداد القتالي للوحدات وقدرتها ، فقامت هيئة تفتيش القوات المسلحة بالتفتيش على الوحدات برئاسة أحد الفرقاء أول ، وكان يقدم تقريره رأسًا إلى المشير عامر ، وكانت توزع الملاحظات على الأفرع الرئيسية والهيئات والإدارات للإصلاح وللإمداد وحل المشاكل .

والحقيقة كانت هناك بادرة إصلاح بدأت مع أوائل عام ١٩٦٧ ، باهتمام القيادة العامة باستكمال النقص وإعداد القوات ورفع كفاءتها القتالية .

الإعداد المعنوي :

نشطت إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة المصرية في الإعداد المعنوي للقوات ولكن كانت كثرة النشرات والمجلات والكتب التي تصدرها هذه الإدارة مثاراً لتكهنات الضباط والجنود ، وللأسف لم يحاول أحد قراءتها أو الاطلاع عليها لكثرتها ولأن موضوعاتها واحدة !! كما يجب أن تبقى الكتب سليمة وبحالة جيدة لأنها كانت محل تفتيش مستمر ، وخصصت أكبر الدرجات في تقدير الكفاءة القتالية للوحدات على حسن الاهتمام المظهري بهذه النشرات والكتب والشعارات واللوحات ، وتسابق القادة على تحسين مظهرها لتكون عنوانًا للثقة بين القائد والقيادة الأعلى !! ومن المضحك أن بعض الوحدات التي تحركت إلى اليمن أخذت معها صناديق ولوحات التوجيه المعنوي كمظهر من مظاهر الولاء .

المظاهرة العسكرية :

في يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ أعلنت حالة الطوارئ في القوات المسلحة المصرية ، ورفعت درجة استعداد الوحدات إلى الحالة القصوى ، وبدأت هيئة التنظيم والإدارة في استدعاء الاحتياط ، وعقدت عدة مؤتمرات لاستكمال النقص في الأفراد والمعدات والأسلحة والذخائر في كل وحدات القوات المسلحة ، وصدرت الأوامر بتنفيذ تعليمات الدفاع الجوي السلبي والإيجابي ، مع تحقيق الوقاية للوحدات والمعدات والعربات وبدأ إعداد القوات المسلحة لشيء ما !!

وانهمكت القيادة العامة للقوات المسلحة في تنفيذ الخطة « قاهر » ، ولكن المشير عامر راح يتدخّل شخصيًا في تفاصيلها ويعدّل مهام القوات وتركيبها التنظيمي واتجاهات دفعها ، مما أفقد الوحدات كثيراً من قدرتها وخبراتها التي سبق أن تدربت عليها ، خاصة وأن معظمها كان عائداً من مسرح عمليات اليمن المختلف في كل شيء !!

فتحركت الوحدات ومعها أسلحتها ومعداتها إلى وجهة محددة حسب الخطة ، ثم تغيرت الوجهة إلى مكان آخر وتغير التنظيم ، وبدأت الأوامر تصدر لتفكيك الوحدات إلى وحدات فرعية كل في اتجاه !! ومن أمثلة هذه المهمة التي كلّف بها قائد وحدات المظلات

التحرك جـوًا إلى شرم الشيخ ، حـيث انضمت إليـه برًا وجوًا وبحرًا عنـاصر من وحدات أخرى يراها لأول مـرة . وبعـــد وصوله إلـى أرض المهمة وصلته قوات أخـرى وهكذا كل يوم .. كما تلـقى مهامًا أخرى : مرة أقفل المـضيق ومرة لا تقفل ومرة أقـفل بشروط كذا وكذا ، ومرة لا تقفل مطلقا !! أوامر محيرة وموقف محير ومنطق محير إلى أن جاءت قافلة إعلامية ضخمـة لتصوير عمليات إنزال بـحري وتحرك بري ، صدرت بها أوامر علمـنا فيما بعد أن هذه الإجراءات كلها كانت مظاهرة عسكرية إعلامية ليس إلا ..

وبعد يوم وليلة إنهار كل شيء نتيجة ضربة ٥ يونيو الموجعة ، التى كانت زلزالاً مدمرًا ونكبة عنيفة قاسية ..

الفصل الثالث

إعداد القوى العربية والمصرية
بعد زلزال ٥ يونيو ١٩٦٧

ماذا بعد زلزال ٥ يونيو ١٩٦٧ م :

رتبت إسرائيل هدفها العسكري والسياسي من هذا الزلزال على أساس :

- تدمير أكبر عدد من السلاح السوفيتى في المنطقة .
- الوصول بالهزيمة العسكرية إلى حد الإهانة لمصر في العالم عامة والعربي خاصة .
- تحطيم معنويات الجيش المصري وإذلاله .
- هدم نظام عبد الناصر .
- احتلال الضفة الغربية والقدس العربيَّة !!

إعداد القوى المصرية بعد زلزال يونيو ١٩٦٧ م

كانت رحمة الله سبحانه وتعالى بمصر واسعة ، فبعد زلزال ٥ يونيو ١٩٦٧ بقيت قواعد البيت قائمة راسخة ، تـنتظر يد البنَّاء الماهر لرفع أعمدة القوة والـقدرة والصمود ، فقد تولى الرئيس عـبد الناصر تحمل المـسئولية كامـلة وأصدر أول قراراته لإعداد القـوى ورباط الخيل وأعطى التوجيهات اللازمة للإعداد الجاد الحازم ، وهي :

١- سرعة بناء مقومات الصمود العسكري أمام العدو ومنعه من استغلال نجاحه عـسكريًا .

٢- العمل على سرعة ارتباط القوات المسلحة مع الشعب والحكومة .

٣- عدم قبول الهزيمة العـسكرية ، والعمل في الاتجاه السلمي والدبلـوماسي الذي يسعى الى انسحاب إسرائيل من الأرضي العربية المحتلة في يونيو ١٩٦٧ .

٤- التعاون والارتباط الوثيق بالدول العربية جميعًا .

٥- توطيد الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي ، ومحاولة إشراكه في إعادة بناء القوات المسلحة .

٦- التركيز على الواجب العسكري للقوات المسلحة ، هو استرداد الأرض بالقوة وتحريرها

وهذا يتطلب إستعادة القدرة الدفاعية بالتدريج لتنفيذ هذا الواجب . وعلى ضوء هذه التوجيهات بنى القائد العام الجديد للقوات المسلحة تقديراته . وليتمكَّن من تحقيقها حتى يكون إعداد القوى قائمًا على قاعدة قوية وطيدة . . فقد اتخذ الخطوات التالية :

القيادات :

تم تغيير معظم قادة وحدات وتشكيلات وإدارات القوات المسلحة المصرية ، وصدرت نشرات عسكرية متلاحقة بإحالة عدد كبير ممن تأكد موالاتهم للمشير عامر سواء من أهل الثقة أو الكفاءة ، حتى يعين قادة جدد على مستوى المسئولية المطلوبة للإعداد الواقعي . ورغم أن هذه الإحالة إلى المعاش هزَّت موقف الوحدات والتشكيلات لفترة ، إلا أن عجلة القيادة الجديدة في القوات المسلحة سارت على قدم وساق لسرعة بناء القوات المسلحة البرية والجوية والبحرية وقوات الدفاع الجوي . وفي نفس الوقت عدم إغفال تقوية الدفاعات على الضفة الغربية لقناة السويس ، لمنع العدو من استغلال نجاحه عسكريًا نحو الغرب .

الروح المعنوية :

أهمية تواجد أعمدة إقامة الروح المعنوية لتربية المعنويات على أسس سليمة وليس بالكتب والنشرات ، ولا يمكن أن يوكل التوجيه المعنوي في الفرقة مثلاً إلى نقيب واحد بل يجب اختبار أحسن أفراد في الدولة ، عندهم وطنية وغيرة على الوطن وعلم ومعرفة وانضباط ويجندوا في الجيش للقيام بهذا العمل . . وعلى القائد تقع مسئولية غرس روح القتال العالية في رجاله ، مع مراعاة الضبط والربط وليس التحبب للضباط مع اعتبار عامل العدل أساساً لهذا الانضباط ، ويجب دراسة المؤثرات على الروح المعنوية ، فهناك خسائر كثيرة في الوحدات أكثر من خسائر الحرب !! حوادث المركبات - إطلاق النار - الإهمال - الغياب والفرار - قتل النفس - التردد في تنفيذ الأوامر . . إلخ ، وهذا هو واجب القائد ومعاونيه من رجال الخدمة الاجتماعية والتوجيه المعنوي .

وقال عبد الناصر : « وهدف العدو أيضًا هو التأثير على الجبهة الداخلية ، وفيها حالات ضيق بعد ٣ سنوات واليهود عندهم كل المزايا واحنا ساكتين ويقول الشباب فين كذا . . وفين كذا . . وقد يعمد العدو لاستخدام الغازات أو أي سلاح جديد للتأثير على معنويات الشعب عامة والجنود خاصة ، وخسائرنا كثيرة ولها تأثير كبير » .

العقيدة القتالية :

كان لابد من محو آثار الهزيمة من قلوب الرجال وعقولهم ، ومحو آثار انهيار صرح الصداقة والارتباط الذي كان قائمًا بين الرئيس عبد الناصر والمشير عامر وذيول هذا الانهيار وبقاياه ببناء عقيدة إيمانية صادقة ، ترتبط بالإيمان الصادق بالله والوطن مع الولاء للقائد وأولي الأمر وحب مصر وجعلها دائمًا أولاً وقبل كل شيء ، ومعرفة العدو وتحطيم جدار الخوف والرعب الذي أحدثته الجولات الإسرائيلية العربية السابقة في عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ ، ثم هذه الهزيمة الأخيرة في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وإعادة الثقة في السلاح والمُعِدَّة مع الأعداد لحسن الاستخدام والتدريب الواقعي ، كل هذا في إطار من زيادة درجات العلم والمعرفة على أساس سليم قوي ، مع طهارة النفوس والقلوب والعقول والأيدي والألسنة والأعمال ، ونشر وعي أدب الحرب والانضباط العسكري القائم على العدل والحزم مع الرحمة . .

وبدأت عجلة إعداد الرجال للقتال بحل مشاكلهم وإزالة الرهبة من نفوسهم ، وتقليل المسافة بين الضابط والجندي ، وزيادة الثقة والارتباط بالمعاملة الحسنة التي تولد الثقة والحب بين الجميع . وصدرت الأوامر بأن يمر كل أفراد القوات المسلحة في ممر معنوي يحقق هذا الأمل الكبير في بناء العقيدة الإيمانية الصادقة ، خاصة زيادة الإيمان الصادق بالله سبحانه وتعالى حيث نسي الرجال ربهم في غمرة ريالات اليمن ، أو صراعات القوى الكبرى القائدة أو في التكالب على المناصب الزائلة ، وارتبط الجميع بحبل الله القوي المتين .

التعاون المصري السوفيتي :

كان على مصر أن تختار إما أن تسير في ركب الولايات المتحدة أو تنحاز إلى الاتحاد السوفيتي . . وليس هناك حل ثالث لإعداد القوي ورباط الخيل بعد هذه الهزائم المتكررة والصراعات المريرة . وقد اختارت القيادة العليا للدولة التعاون مع الاتحاد السوفيتي ، وتوثيق هذا التعاون بكل الطرق الممكنة . .

فسارع الاتحاد السوفيتي بإمداد مصر بالأسلحة والمعدات بدلاً عما فقدته في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وبدأ الإمداد الجوي بالأسلحة السوفيتية منذ ٩ يونيو ١٩٦٧ . وفي يوم ١٦ يونيو وصل وفد عسكري سوفيتي بقيادة الجنرال لاشنيكوف للمساعدة في استقبال الأسلحة والمعدات من الموانئ الجوية والبحرية ، وتوزيعها على الوحدات المصرية التي بدأت عملية إعادة التجميع ، وإعادة التنظيم ، وإنشاء خط الدفاع الأول غرب قناة السويس على الطريقة السوفيتية في خط واحد متصل .

ثم في ٢١ يونيو ١٩٦٧ وصل الرئيس السوفيتي بدجورني ومعه مارشال الاتحاد السوفيتي زخاروف رئيس الأركان ، وبدأت محادثات قمة مع الرئيس عبد الناصر بهدف إزالة آثار العدوان الإسرائيلي على مصر ، واشتراك مستشارين وخبراء سوفييت بالعدد الذي يتفق عليه بين الطرفين ، واستمر التعاون المصري السوفيتي في التقدم مع زيادة المعدات والأسلحة والمستشارين والخبرات حتى رحيل عبد الناصر عام ١٩٧٠ .

وقال عبد الناصر : « كان الواضح من زيادة الرئيس بدجورني أن مشكلتنا الأساسية هي الدفاع الجوي والطيران ، واستراتيجية إسرائيل مبنية على أساس الاحتفاظ بالتفوق الجوي لعدم إمكانها الدخول في سباق لباقي الأسلحة الأخرى ، « ويجب أن يكون المستشارون السوفيت مسئولين مسئولية مباشرة لأجل السمعة العسكرية السوفيتية وطلب من المستشارين المشاركة في تقدير الموقف الحالي ، وتوضيح نقط الضعف وكيفية التغلب عليها . وإمكانية الاستمرار في حرب الاستنزاف ضد العدو ، وإجراءات تقليل خسائر الاستنزاف المضاد والخروج بخطة واضحة للاستنزاف » . وقال عبد الناصر عن العلاقة مع المستشارين : إنها مهمة جدًا ويجب تعبئتهم معنا بأي ثمن ونحن في أمس الحاجة ، لقد أرسلوا أولادهم إلينا هنا ليموتوا ويجب تقديرهم تمامًا . . نريد أن تكون العسكرية السوفيتية معنا دائمًا . . أي مشاكل معهم يجب حلها أولاً بأول ، ونحن في يدنا كل شيء . . ولن يسيطروا علينا أبدًا . . وفكرة الخبراء هي فكرتي ، وأنا صممت على هذا لأننا نريد أن نتعلم وأمامنا معارك كبيرة جدًا وليس أمامنا إلا طريقين: أن نستسلم أو نقاتل » .

شروق شمس الأمل :

في أول يوليو ١٩٦٧ : وقعت أول معركة برية بين القوات الإسرائيلية وقوة مصرية صغيرة من الصاعقة ، ولو أن القوات التي اشتركت في هذا القتال الذي لم يدم إلى ساعات

قلائل فصيلة صغيرة العدد ، ولكنها كانت مرتفعة المعنويات جريئة قوية أمينة . . إنها فصيلة من رجال الصاعقة قوامها لا يتعدى الثلاثين رجلاً ، ومعهم بعض رجال المهندسين كلفتهم القيادة برص ألغام على الجانب الشرقي من قناة السويس جنوب بور فؤاد بحوالي ١٢ كيلومترًا أو أقل لمنع تقدّم أي قوات إسرائيلية إلى الشمال تجاه بور فؤاد ، ونجحت فعلاً هذه القوة الصغيرة في عرقلة تقدّم حوالي سرية إسرائيلية مدعمة بالدبابات والمركبات النصف جنزير ، وأحدثت بها خسائر جسيمة في الأرواح والمعدات ، وأوقفتها نهائيًا عن التقدم شمالاً . وبذا حرمت العدو من مد سيطرته على كل شبه جزيرة سيناء ، إذ إن هذه المنطقة ظلّت تحت سيطرة القوات المصرية حتى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، إذ تمكنت نفس قوات الصاعقة المصرية من طرد الإسرائيليين نهائيًا من مواقعهم جنوب بور فؤاد ، وحطمت حصونهم وأسرت من أسرت وقتلت من قتلت ورفعت علم مصر خفاقًا في منطقة رأس العش شرقًا . وفي يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧ فوجئ العدو بتحدي القوات الجوية المصرية لقواته الجوية فكان ظهور ١٠ طائرات مصرية ميج ١٧ دفعة واحدة في الجو لاعتراض طائرات الاستطلاع الإسرائيلية وأصابت إحداها . وكان هذا العمل حافزًا قويًا لإعادة الثقة للقوات الجوية المصرية .

وفي يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ تم اعتراض وتدمير المدمرة الإسرائيلية إيلات أمام ميناء بورسعيد ، قتل فيها ٤٧ بحارًا إسرائيليًا وجرح ٩١ فرد من إجمالي طاقمها الـ ٢٠٠ .

وهكذا أشرقت شمس الأمل في استعادة الثقة للقوات المسلحة المصرية بالكامل .

وكان نجاح هذه العمليات الثلاث مفتاح تدمير جدار الخوف ، ونقله إلى الجانب الآخر - وبدأت عمليات العبور شرقًا بقوات استطلاع ثم دوريات قتال ثم قوات أكبر ، ونجحت قواتنا في أسر أول ضابط إسرائيلي عام ١٩٦٩ وهو ملازم أول دان افيدان في قطاع شرق سيرابيوم . .

ودارت عجلة التجهيزات الهندسية باستخدام المعدات الميكانيكية وإنشاء المواقع التبادلية ، والمواقع الهيكلية للدفاعات المختلفة ومرابض الأسلحة والمعدات ، ومواقع القيادات . . إلخ .

ولقد تحطّم الروتين المعطل لكل شيء بقرار أصدره وزير الحربية ، بإعطاء قادة الجيوش سلطات تحطيم الروتين في سبيل أمن المعدات والأسلحة بعد أمن القوات ، إذ صرّح قائلاً :

« لن اعترض على أي إجراء يتم من قائد الجيش شخصيًا يعود على الوزير بتكاليف طالما أن هدفه هو وقاية وأمن القوات » .

عملية رأس غارب :

جاء الانتقام الإسرائيلي من العمليات النشطة لقواتنا شرقًا بعملية خطف جهاز رادار ب١٢ روسي الصنع من موقعه في رأس غارب بمنطقة البحر الأحمر ليلة ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩ ، وتمكن العدو الإسرائيلي من القضاء على الطاقم ، وحمل الجهاز في حوامتين إلى إسرائيل .

وأضرّت تلك العملية بالروح المعنوية للقوات كما كان لها تأثير كبير على نفسية الرئيس عبد الناصر ، وكذا على العلاقات السوفيتية / المصرية ، ولكنها كانت درسًا له نتائج يجب مراعاتها في حماية الأهداف الحيوية وأسلوب نجدتها . .

تعليق الرئيس عبد الناصر :

قال عبد الناصر تعليقًا على عملية الإغارة الإسرائيلية على رأس غارب يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩ ما يلي : « تعتبر عملية رأس غارب عملية فريدة في التاريخ ولكنها ليست العملية الوحيدة فعملية دييب في الحرب العالمية الثانية تشبهها ، ولكن قوة الإغارة الأمريكية لم تتمكن من سحب كل أجزاء الرادار ، بل تمكنت فقط من سحب جزء من الرادار الألماني المتطور » . .

ثم استطرد في غضب وعصبية توضح الأحزان التي مر بها ، منذ أن علم بهذا الحادث الخطير وكان قد وجه اللوم إلى اللواء أ ح أحمد إسماعيل علي ، رئيس أركان حرب القوات المسلحة في ذلك الوقت وهم يشاهدون مناورة الفرقة ٢١ المدرعة من الجيش الثاني ، وبعد ساعات قليلة أقاله من وظيفته !!

ثم قال في حزن عميق :

« هذه العملية أثرت تأثيرًا كبيرًا على الروح المعنوية . . والعدو يعرف عنا أكثر منا . لماذا نكرر ما حدث في عام ١٩٤٨ والقيادة الإسرائيلية تعمل على أساس العمليات المشتركة ولديهم مدرسة لهذا ، لأن العمليات المشتركة لها أهمية كبيرة . . ويجب علينا تكوين أركانات حرب متخصصين في العمليات المشتركة » .

ثم قال « أنا أقول إن نجاح العدو راجع إلى الاستطلاع الكامل مع التخطيط الجيد والتدريب ، ولماذا نحسن عندنا قصور في هذا مع ضعف قدراتنا .. الموضوع أخطر مما تتصور !! وكانت عيون الصقر حزينة غاضبة ، ووجه إلى جميع الحضور أمرًا بأن يقول كل فرد منهم رأيه بصراحة ..

وتكلم عدد من القادة ولكنه علق بسرعة عما يجول في فكره وخاطره ، كقائد عسكري ذى خبرة ومخطط جيد قائلاً :

« يجب اتخاذ إجراءات تأمينية ضد أعمال العدو النشطة ، وأهمها - من وجهة نظري - تدعيم المناطق الحيوية بالدولة ، وإعادة توزيع القوات في المناطق على أساس كتائب مشاة مدعمة لتأمين ونجدة الأهداف الحيوية بقوة قادرة وليس قوات صغيرة ضعيفة . يجب أن يحمل كل جندي بندقية ومعه الذخيرة الكافية مهما كان وضعه في القوات المسلحة لحماية نفسه ووحدته ، وهذا الموضوع حتمي ويجب تنفيذه » موجهًا الأمر إلى وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة في ذلك الوقت الفريق أول محمد فوزي .

وعاد عبد الناصر مرة أخرى للتعليق على هذا الحدث الخطير قائلاً :

« قطعًا فيه غلط في طريقة حماية الوحدات المنعزلة وهذه الطريقة الحالية خاطئة وغير واضحة .. ويجب أن تدرس خط القيادة والسيطرة تمامًا ، وألا يبقى هذا الوضع غير السليم .. لقد حقق العدو هدفه في تعطيل كتائب الصواريخ ويجب وضع حد لهذا ..

لا نستطيع أن نحارب والجميع يعملون ليل نهار !! كيف تسير الحرب ، ويجب تشكيل مجلس حرب في الجيوش الميدانية لمناقشة الموضوعات وعلى حسب قرارات المجلس يصدر القائد قراره ، فلا يمكن للقائد أن يباشر الأعمال اليومية ، ثم يفكر في التخطيط للقتال أو إدارة المعركة .. وهذه الهيئة تعتبر العقل المفكر للقائد للقتال وليس للعمل الروتيني اليومي ، ويجب أخذ الآراء بحرية وصراحة ، حتى يمكننا أن ننجح . وعلى القائد القدوة أن يزيد شعوره بالمسئولية على نفسه وعلى التابعين تحت قيادته واتخاذ إجراءات حازمة وشديدة لهذا » .

التصميم على إقامة قواعد الصواريخ المضادة للطائرات :

كان التصميم على إقامة الصواريخ المصرية رغم تدخل العدو الجوي بشدة عامل أمن

واطمئنان لقوات الجبهة ووصول السلاح السوفيتي الصغير المضاد للطائرات المسمى «استرلا» وسميناه اسم كودي « الحية » يحمله الجندي على كتفه والصاروخ منه يساوي إسقاط طائرة !!وقد ذاقت الطائرات الإسرائيلية بطشه وشدة إصابته .

كما تأكّدت أهمية الانتشار واستخدام الأرض والساتر والحفر البرميلية الفردية للوقاية من القنابل بأنواعها سواء من المدفعية أو الطائرات . .

القوات الجوية في فكر عبد الناصر :

بعد حادث رادار رأس غارب ، فتح ناصر خلال شهر ديسمبر ١٩٦٩ موضوع عدم اشتراك قواتنا الجوية في القتال لمعاونة القوات البرية وحمايتها . . وأوصى بضرورة اختيار ضباط طيارين أكفاء للاعتراض الجوي ، على أن يخصص لهم توقيت معين للاعتراض والاقتناص ، وتعيّن عناصر من القوات الجوية للدفاع الجوي بالتنسيق مع الصواريخ المضادة للطائرات ، وأشار ناصر إلى أن الفانتوم الأمريكية ستصل إلى إسرائيل في شهر ٩ / ١٩٧٠ ، ويتوقع أن يستخدمها العدو بتركيز في هذا التوقيت ، ولذا يجب اتخاذ الحيطة من الآن . وقال إنه في يوليو ١٩٧٠ سيكون لدينا ١٤٦ طيارًا مقاتلاً ، وستكون عندنا ٢٦ طائرة ميج ٢١ ، و٦٠ طائرة ميج ٢١ M ، و٢٤ طائرة لكل الأجواء . ويجب زيادة الضبط والربط في القوات الجوية وتحديد مسئولية كل قائد ، ومعرفة النقص في وسائل التدريب ، ودراسة النواحي الفنية والصيانة والتوجيه والتنسيق للعمليات المشتركة ، خاصة أن الحرب القادمة حرب أسلحة مشتركة وقال عبد الناصر محذرًا :

« في رأيي أن هناك احتمالاً واحدًا أن إسرائيل تعتقد أننا سنعبر في الصيف القادم ، ولهم هدف » . وفي النهاية نصح بضرورة تدريب الطيارين على القتال الليلي والاستعداد لعمليات التصاعد ، وقيام القوات الجوية بعمليات الاستطلاع ، والتركيز على ضرب الرادارات ومواقع الهوك بقوة .

عبد الناصر والدفاع الجوي :

كان أهم ما يشغل تفكير عبد الناصر بعد قيام إسرائيل بخطف الرادار وفكه وتهريبه جوًا إلى إسرائيل ، هو : كيف يحقق الدفاع الجوي المتكامل عن سماء مصر ما أمكن ؟ وقد ذكر أن العدو في ٥ يناير ١٩٧٠ جعل جميع شاشات رادار الدفاع الجوي بيضاء كيف هذا ؟

وكيف نواجه الشوشرة الرادارية ؟ هل يمكن إسقاط الطائرات التي تقوم بأعمال الشوشرة مثل الحوامات المجهزة وهي تطير شرق القناة وعلى ارتفاع حوالى كيلو متر . لذا يجب استخدام القوات الجوية في الاصطياد الحر ضد هذه الطائرات .

وأشار إلى أن قوات الدفاع الجوي أمكنها إسقاط ٣٥ طائرة (منها ٧ طائرات أسقطتها القوات الجوية) في الفترة من ٢٠ يوليو ١٩٦٩ حتى ٧ يناير ١٩٧٠ .

ووجه عبد الناصر اهتمامه بحماية وسائل الدفاع الجوي بالجبهة وبالعمق ، وكذا المطارات الأمامية ، حيث أنه يتوقع أن تقوم إسرائيل من يناير إلى يونيو ١٩٧٠ بضرب كل وسائل الدفاع الجوي ، حتى يطمئنوا على عدم قدرتنا على العبور ، مع استمرار حصولهم على المساعدات الأمريكية السياسية والعسكرية والاقتصادية .

ويجب تنظيم التعاون بين القوات الجوية والدفاع الجوي ، وهو موضوع حيوي جداً ، ويجب وضع أسلوب لهذا التعاون والتصميم على تنفيذه واتباعه ، حتى نضمن عدم كسر دفاعنا الجوي ، ويجب أن يتم بسرعة إنشاء مواقع الصواريخ لأهميتها القصوى لنا .

عبد الناصر والقوات البحرية :

تعتبر القوات البحرية المصرية أكثر تفوقًا عن البحرية الإسرائيلية ويجب استغلال هذا التفوق في تدمير قطع العدو البحرية ومعاونة عمليات الإبرار البحري ومعاونة القوات البرية ، والسيطرة على البحر الأحمر وخليج السويس ، وأن تقوم الغواصات المصرية بأعمال سبع البحر في البحر المتوسط ، ويجب أن يعيش البحريون على ظهر السفن أكثر من معيشتهم على البر ، فذلك يزيدهم خبرة وثقة كبيرة وحسن تصرّف .

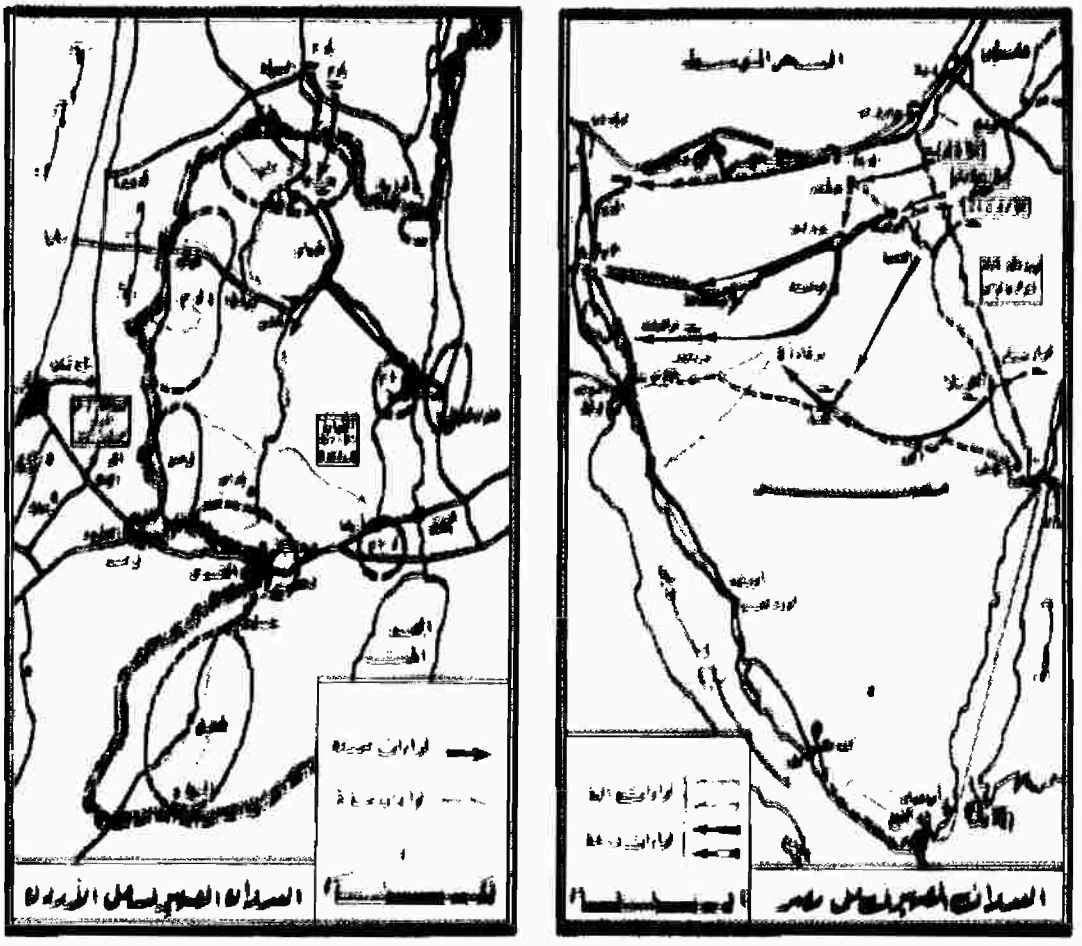

الجولة العربية الصهيونية الثالثة

صيف ١٩٦٧

الجولة الاسرائيلية العربية الثالثة

(صيف عام ١٩٦٧)

تتابع الضربات الرئيسية ضد الجبهات العربية

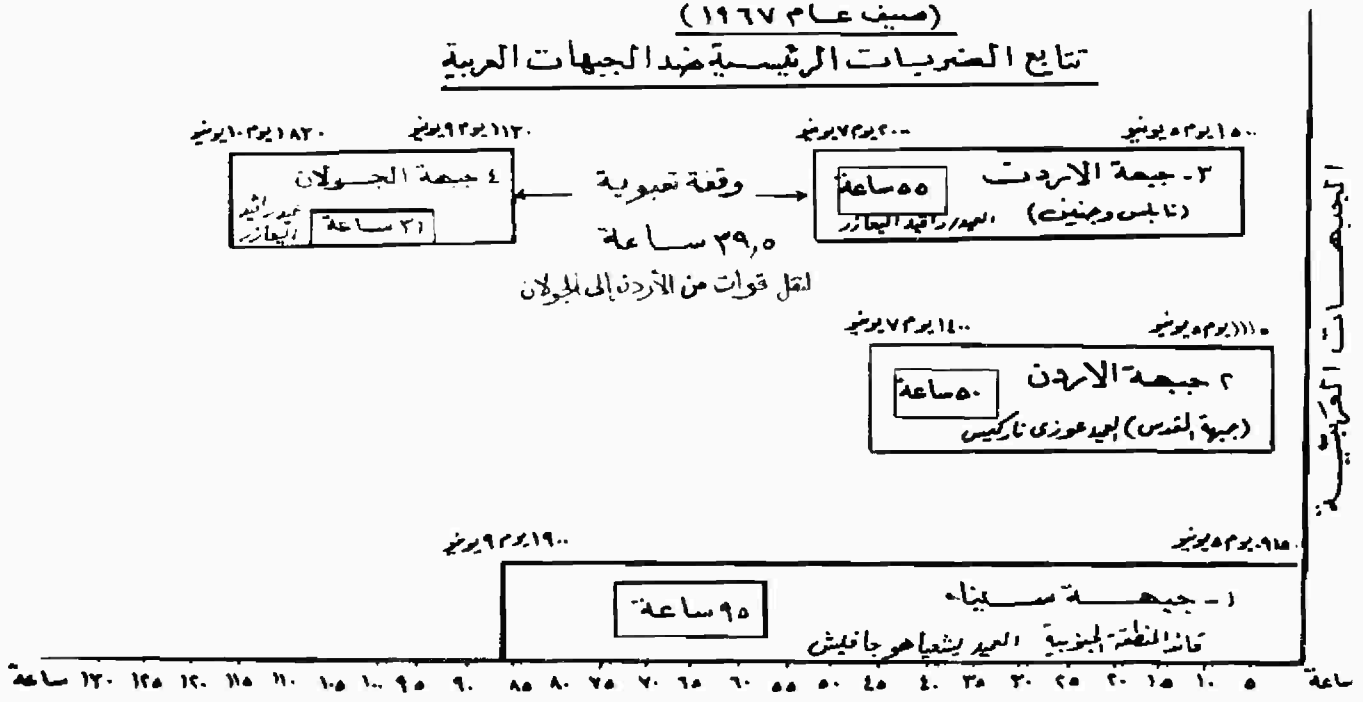

الفصل الرابع

الإخوة الأعداء

كان ناصر وعامر صديقين حميمين ، حملا رأسيهما على أكفهما معًا يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وتوطدت العلاقة بينهما أكثر خلال أيام الثورة الأولى ، واختار ناصر كزعيم للثورة زميل كفاحه عامر ليكون وزيرًا للحربية وقائدًا عامًا للقوات المسلحة ، واتفق مع زملائه في مجلس قيادة الثورة على ترقية الصاغ عبد الحكيم عامر إلى رتبة اللواء ، ليكون شغله لهذه المناصب سليما من ناحية الأقدمية والانضباط .

الأخوة الأعداد
فى احتفال تسليم العلم ١٩٥٥

ونجحا معًا في التفاوض مع بريطانيا وجلاء قواتها نهائيًا عن مصر في ١٨ يونيو ١٩٥٦ ، واتجها معًا لتقوية القوات المسلحة المصرية وإعدادها لتحقيق مهامها في الدفاع عن مصر ، ورد اى عدوان عنها واستخدامها كعنصر قوة للردع والأمن ومعاونة الدول الصديقة .

ولكن كان أهل الثقة عندهما أو عند عامر على وجه أخص ، هم المختارين لتولي المناصب القيادية في القوات المسلحة في جميع أفرعها ، وكذا المناصب المهمة في الدولة سياسيًا أو اقتصاديًا أو اجتماعيًا وحتى المناصب الفنية . وعندما احتاج الأمر إلى تدخل القوات المسلحة المصرية في السيطرة على بعض الجهات الهابطة في الدولة ، أو التي تحتاج إلى حسم وسيطرة الثورة عليها كانا يختاران معًا من هو أفضل ليتولى هذه المناصب . وفي بعض الأحيان كانت الظروف أن يعين أحدهما أهل ثقته بينما لايوافق الآخر عليه ، وتعددت مهام عامر ومسئولياته واتسع نطاق سيطرته على القوات المسلحة وكثير من أجهزة الدولة ومؤسساتها الحيوية ومصانعها وشركاتها . وحتى قطاع النقل أشرفت عليه القوات المسلحة . وهنا بدأت الدسائس والفتن والتصدعات تتسرب إلى قلوب الأصدقاء وعقولهم ، وتمس مصالحهم الشخصية وآمالهم في تحقيق أحلام أكبر أو أوسع أو أكثر . . .

ورغم أن عجلة إعداد القوى كانت تسير ، ولكن على أرض لم تكن ممهدة تمامًا لسير عجلاتها ، فقد كان بها كثير من المطبات والحفر والموانع ، مما أثر على درجة تحملها والقدرة على صيانتها وكفاءتها ، ولكنها نجحت عام ١٩٥٥ في توقيع اتفاقية الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا ، ووصلت فعلاً عدة أسلحة ومعدات وطائرات لدعم القوات المسلحة المصرية . وقامت الدنيا ضد مصر وضد ثورتها وأعلنت إسرائيل أن مصر ستستخدم هذه الأسلحة ضد أمنها في عام ١٩٥٦ . وبعدما أعلن ناصر تأميم الشركة العالمية شركة قناة السويس شركة مساهمة مصرية ، جاء العدوان الثلاثي الفرنسي / الإنجليزي / الإسرائيلي في أكتوبر ١٩٥٦ وقرر ناصر سحب جزء من القوات المصرية من سيناء لتأمين الدلتا ومدن القناة ، ولاقت القوات المصرية الأخرى في سيناء ضربات من القوات الإسرائيلية رغم شجاعة وإقدام وثبات قوات مصر في أبو عجيلة وفي ممر متلا . وتوقفت القوات الإسرائيلية أمام صمودهم إلا أن القوات أمرت بالانسحاب من سيناء ، فاحتلتها إسرائيل وسيطرت على كل أجزائها .

وحدثت أخطاء في استخدام القوات المسلحة المصرية ، حيث إنها استدرجت إلى معركة لم تكن تملك فيها كل أسباب النصر . وبالطبع أعتبر عامر أنه القائد المسئول عن كل الأخطاء التي حدثت . ثم كانت الوحدة مع سوريا وما حدث خلالها ثم الانفصال عام ١٩٦١ لطمة كبرى لمصر وزاد العداء بين الأخوة ناصر وعامر رغم محاولة ناصر مساعدة عامر بإرسال عناصر من القوات المسلحة إلى سوريا لنجدته ، ولكن هذا التخطيط لم يكن سليمًا وزاد الطين بلة المعاداة العلنية من بعض ذوي الثقة المحسوبين على عامر ضد ناصر مما زاد العداوة عمقًا . .

وجاءت مناصرة ناصر لثورة اليمن في ١٩٦٢ ، وتولى عامر مسئولية هذا القطاع المهم أو هذه المهمة الكبرى عاملاً آخر من عوامل التصدع بين الإخوة الأعداء . .

وبدأت روح العداء تسري بين عامر وناصر تتبعها معوقات لإعداد القوى الذاتية لكل منهما تحسبًا ليوم محتوم فقرر ناصر زيادة قدرة وكفاءة قوات الحرس الجمهوري ودعمها بالدبابات الحديثة والأسلحة المتطورة . وفي الجانب الآخر كان اعتماد عامر على قادة التشكيلات المختارين بمعرفته وعلى وحدات الصاعقة وعلى قوات المظلات الرابضين في أنشاص قرب القاهرة . .

وكان معظم القادة من مختلف تشكيلات القوات المسلحة ومن الصاعقة والمظلات يترددون يوميًا على مكتب عامر ومنزله بتخطيط ممن حول عامر من الأتباع والبطانة وكان لذلك بالطبع مغزى كبير وخطير ، يؤثر تأثيرًا مباشرًا على سلسلة القيادة وأسلوبها في القوات المسلحة .

وحاول ناصر إيجاد حلول للحد من سلطات عامر ، فقام عام ١٩٦٢ بتشكيل مجلس رئاسة لتقليص سلطاته ، ولكنه لم ينجح وتحول ذلك إلى زيادة في الصلاحيات لعامر الذي تولى منصبًا أكبر بالإضافة إلى المناصب الأخرى ، وأصبح نائبًا للقائد الأعلى للقوات المسلحة ، رغم اعتراض عدد كبير من أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين كانوا يتوقعون أن يصدر ناصر قراره بإقصاء عامر ، ولكنه بحكم الصداقة والأخوة لم يصدر هذا القرار .

وفي منزل ناصر يوم ٢٥ أغسطس ١٩٦٧ اجتمع بعضًا من أعضاء مجلس الثورة ليواجهوا عامر بما أحسوا به من وجود تآمر ، بهدف الوصول إلى السلطة بإستخدام القوات المسلحة ، وقد أصروا على إقصاء عامر ؛ لأن عودة عامر إلى موقعه لن تكون فى صالح مصر لأن إسمه قد ارتبط بهزيمة كبرى ذات أبعاد خطيرة بما قد يثير الشعب .

وتمت مواجهة عامر بالحقائق من زملاء الكفاح وزملاء الثورة ، وأعتقد أن هذه المواجهة كانت قاسية على قلب وعقل عامر الذي حاول التخلص من حياته - كما يقولون - إلى أن لقى ربه بعد حوالى ١٥ يومًا من هذا اللقاء .

جولة خاصة مع عامر :

قابلت الرائد أ ح عبد الحكيم عامر ، عندما كان يشغل منصب رئيس عمليات لواء مشاة في خان يونس بفلسطين عام ١٩٤٨ ، ثم صدر قرار في عام ٥١ بنقله مدرسًا إلى مدرسة المشاة ولم ينفذ النقل ، ولسنا ندري السبب رغم أنه كان في هيئة التدريس بمدرسة المشاة في ذلك الوقت الكثير من نوابات الضباط الأحرار ، محمد السيد عبد الرحمن ، حمدي عبيد ، صلاح نصر ، كمال الحناوى ، عباس رضوان ، شمس بدران ، شعراوي جمعه ، حامد محمود ، وكانوا جميعًا في انتظاره . .

ولم يسعدنى الحظ بمقابلته بعد ذلك إلا في الكلية الحربية أعوام ٥٥ ، ٥٦ عندما كنت أعمل رئيسًا لقسم التكتيك بها ، وكان يحضر كثيرًا للمرور على الكلية أو زيارتها مع كبار ضيوف مصر من ملوك العرب والدول الصديقة ، أمثال الملك محمد الخامس ملك المغرب وهيلاسيلاسى ملك الحبشة ، وغيرهم . . ثم بعد ذلك في أعوام ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ .

وفي يناير ١٩٦٠ جاء المشير عبد الحكيم عامر لزيارة قوات المنطقة العسكرية الشرقية في العريش واختار زيارة الكتيبة ٥٣ المشاه في أبو عجيله ، وكنت قائدًا لها ، وكان هذا اللقاء مثار تعليق من كل ضباط القوات المسلحة ، لأنه كان بداية لإيجاد حلول لمشاكل كثيرة أمكن حلها فورًا بقرار منه ، كما زاد إعجابي به واحترامي له ، أنا وكل من تأثر بهذه القرارات أو سمع عنها . .

كانت القوات المسلحة المصرية قد بدأت في تطبيق التكتيك السوفيتي ، الذي اتبعوه في الحرب العالمية الثانية ، وقد فرض عليّ كقائد كتيبة تحديد مواقع لبعض منها في أبو عجيلة بأسلوب الخندق الأول ، ثم الخندق الثاني على مسافة حوالي ٢٠٠ متر ، ثم الخندق الثالث في الخلف إلى ٦٠٠ متر . وللأسف الشديد حضر ضابط من القيادة الشرقية لقياس مسافات هذه الخطوط الدفاعية على الأرض وتحديدها لنا للحفر والاحتلال ، ولكني بحكم خبرتي السابقة في مدرسة المشاة والكلية الحربية لم أوافق على هذه الحرفية في الاحتلال ؛ خاصة وأن هذه المنطقة شهدت عام ١٩٥٦ نصرًا أكيدًا للقوات المصرية المدافعة بها التي أرغمت

القوات الإسرائيلية على الارتداد عنها ثلاث مرات وكانت القوة تحتل مواقع حاكمة هيأتها طبيعة الأرض ، ولهذا السبب تمسكت بالأرض واستطاعت المقاومة . فقلت هذا للمشير عامر عند الزيارة وأضفت إليها إنني لم أتمسك بالخطوط المرسومة . بل اتبعت منطق طبيعة الأرض فوافق وشجعني على ذلك ، كما قلت له أنني جربت استخدام كل أسلحة الكتيبة بالذخيرة الحية لتأمين الموقع ، وتدريب الجنود ، واختبار قدرة وكفاءة الأسلحة فوافق ولم يعترض ، واعتبرت هذا تصديقًا لي بذلك .

طلبت ملابس شتوية للجنود وزيادة في البطاطين ومهمات الشتاء ، فوافق في الحال ثم طلبت أن تكون أجازة الميدان كل ٢٣ يومًا للضباط والجنود ، وعلاوة إضافية للجميع فصدق فورًا على طلباتي ، كما صدق لقائد اللواء بتركيب بيرق (علم) على سيارته كقائد للمنطقه .

والحقيقة أنني ازددت حبًا وإعجابًا واحترامًا لهذا الرجل كقائد وإنسان ، ففي أثناء احتدام القتال مع بعض قبائل اليمن كنا نراه دائمًا معنا فى الميدان ، وأذكر أن معركة كبيرة حدثت في قطاع رأس العرقوب في المنطقة الشرقية باليمن ، وحدثت خسائر كثيرة في قواتنا وأرسلنا برقية بنتائج المعركة وإذا به يحضر إلى اليمن في طائرة نقل عسكرية ، ويصل إلى مركز قيادة القوات العربية بصنعاء في لوري حوالي الساعة السادسة صباحًا ، وبالصدفة كنت في مكتبي في هذا الوقت أقوم باتصالات مع الجبهات لتقصي حقائق الموقف ، ودار بيننا حوار خاص شعرت فيه بأنه قد اطمئن للموقف الذي ظل يقلقه طيلة نهار وليله الأمس .

قرر المشير عامر أن تقوم القوات المسلحة في اليمن بعملية انتقامية لما حدث من خسائر في منطقة العرقوب على يد قبائل خولان وزعيمها الشيخ الغادر ، واجتمعت بالقيادة مجموعة تخطيط لهذه العملية ، حضرها مع فريق أول مرتجى قائد القوات مع رئيس عمليات القوات المسلحة ورئيس أركان القوات العربية ورئيس العمليات وتم التخطيط لهذه العملية ووضع الفكرة والحقيقة أن أحدًا من المجتمعين لم يكن مقتنعا ، بنجاح هذه المعركة ولكن أوامر المشير كانت صارمة بضرورة التنفيذ !! واقترحت أن أعرض فكرة القرار على المشير عامر ، وأحاول إلغاءها أو تأجيلها وصعدت إلى الدور العلوي ، حيث كان عامر في استراحته فوجدته جالسًا على أريكة ورأسه للخلف والإجهاد واضحًا على كل ملامح وجهه . . قلت له : سيادتك مجهد خد أسبرين وستستريح ، وفعلاً أعطيته قرصي أسبرين من جيبي وتناولها وقال لي : « أنت لماح » فقلت له : « الحقيقة أنا جاي أعرض على سيادتك

موضوع خطير ، وقصصت عليه ما حدث في الاجتماع من عدم الاقتناع بالعملية ، وأنني تطوعت لعرض الموضوع على سيادتك واقترح فداء الأرواح بالذهب ، وإلغاء العملية حتى لا نتحمل خسائر لا داعي لها » . وبعد تفكير بسيط وافق على إلغاء العملية . . والحمد لله . . ونجحت فكرة فداء الأرواح بالذهب ولو إلى حين . .

ومرت الأيام في اليمن إلى أن استدعاني المشير عامر مرة إلى مكتبه ، وقال لي : « ما رأيك في تجميع قوات الصاعقة والمظلات تحت قيادتك ؟ » ففوجئت بهذه الفكرة . وبالطبع وافقت ولكن بعد حوالي ثلاثة أشهر انتهت خدمتي في اليمن ، وعدت إلى مصر مديراً لمكتب قائد القوات البرية ، وبعد حوالي أقل من أسبوعين فوجئت بقرار تعييني قائداً لوحدات المظلات ، واستدعى الأمر تحرك بعض وحدات المظلات إلى اليمن وأمر المشير بسفري مع هذه القوات لليمن مرة أخرى . وبعد فترة حضر المشير ، وطلب الاجتماع بقادة القطاعات في اليمن ، وفي مؤتمر ضم معه السيد السادات وقائد القوات ، طلب المشير الرد على ٣ أسئلة :

السؤال الأول - حقيقة الروح المعنوية للقوات

السؤال الثاني - الكفاءة القتالية للقوات .

السؤال الثالث - موقف القبائل اليمنية ومشاكلها

وكان دوري الثالث في الإجابة عن هذه الأسئلة حسب ترتيب جلوسي ، فوقفت وقلت له : أما حقيقة الروح المعنوية في قطاعي فسيئة !! » ضرب المشير بيديه على المنضدة محتداً ، وقال : « إزاي تقول الكلام ده ، إحنا أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط » وكان الغضب يملأ كل أساريره !!

وكان ردي على سيادته في هدوء « إذا كنت سيادتك زعلان بلاش أتكلم بصراحة » وجلست فرد على قائلاً في هدوء وشبه ابتسامة على وجهه « لا ، لا ، اتكلم يا منعم بصراحة » ولما شرحت له الأسباب واقتنع بها ، أوجد لها الحلول الحاسمة وارتاح قلبي ، وفي نهاية الحديث أشار إلي أنني عندي شجاعة أدبية . . والحمد لله .

- وكانت خاتمة المطاف مع عامر في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، حيث كنت قائداً لقطاع شرم الشيخ والمكلف بتأمينها وقفل خليج العقبة وتحت قيادتي بعض من وحدات المظلات ، ووحدات متنوعة من الصواريخ وأسلحة أخرى وقوة بحرية ومعاونة جوية ، وكانت كل

طلباتي مجابة واتصالي لاسلكيًا مع المشير عامر مباشرة بالشفرة . وعندما أصدر لي الأمر بالانسحاب عدت مع قواتي ليلة ٦ / ٧ ، وليلة ٧ / ٨ إلى الغرب فأرسل لي رسولاً ليقابلني عند أبو زنيمة مساء يوم ٨ يونيو ، ومنه علمت بإنهيار جبهة سيناء !!

وبمجرد أن وصلت إلى الغرب فجر يوم ٨ يونيو ، اتصلت بالمشير تليفونيًا من السويس ، الذي أعطاني أمرًا محيرًا أن أعزل قائد لواء مدرع وأتولى قيادة هذا اللواء فورًا واندفع به إلى ممر متلا لتدمير قوات المظلات الإسرائيلية التي قيل إنها أسقطت غرب الممر لقفله !! واستدعاني بعد ساعة تقريبًا بواسطة ضابط نجده من الشرطة وعاتبني على عدم السرعة في تنفيذ أوامره وكلفني بمهمة كبيرة أخرى وهي أن أتولى أيضًا قيادة لواء مشاة ميكانيكي ، وأقوم بتنفيذ مهمة تدمير المظلات الإسرائيلية في ممر متلا !!

وقد نفذت ما أراد ولكن بتصرف إذ أن الموقف لم يكن يسمح بتنفيذ تلك المهمة ، وانسحبت القوات غربًا . وللأسف الشديد صدرت أوامر القيادة العامة بنسف الكباري المقامة على قناة السويس ، رغم وجود قوات لنا فى الشرق ، ولم تصل أي قوات إسرائيلية إليها بعد !! وحدث في الغرب هرج نتيجة الازدحام الشديد في منطقة المعابر والكل تائه وثائر ، وكان همي هو إيجاد حل لهذه الهمجية فاتصلت بالمشير شخصيًا من تليفون عند المعبر وأنا أقص عليه الموقف ، فأمرني الأمر الثالث في ساعات قليلة أن أتولى القيادة وأسيطر على الموقف ، وكانت هذه المكالمة آخر كلمات سمعتها منه ، وآخر الأوامر المحيرة التى صدرت إليّ من قائدي !! وما زالت نبرات صوته الحزين المكتوم ترن في أذني إلى اليوم لقد كان زلزال ٥ يونيو مدمرًا حقًا للجبال الشامخة والحصون المنيعة !!.

الفصل الخامس

تقييم حرب الاستنزاف (حرب الإرهاق)
(يوليو ١٩٦٧ - أغسطس ١٩٧٠)

تضاربت الآراء حول حرب الاستنزاف التي كانت أطول حروب العرب مع إسرائيل ، إذ استغرقت ٣٨ شهرًا بدأتها مصر تعبيرًا عن رفض هزيمة صيف ١٩٦٧ ، وتأكيدًا لعزمها على مواصلة النضال إلى أن تزول آثار العدوان الإسرائيلي ، وتعود الحقوق إلى أصحابها ، ولتحرم إسرائيل من استغلال نصرها بإملاء شروطها المجحفة من موقع القوة ، أو فرض الأمر الواقع بكل ما يحمله من ظلم وتعنّت للعرب .

ثم جاءت لاءات الخرطوم الثلاث لتوصد الباب في وجه آمال الاستسلام ، التي ظلت تداعب خيال موشيه ديان الجالس إلى جوار الهاتف يترقبها ، بينما كانت مصر تشعل حربًا طويلة الأمد باهظة التكاليف ، مع حرصها على ألا تفلت من عقالها فتجمح إلى مرتبة الحرب الشاملة ، أو ينطفئ أوارها فتهبط إلى درك الحرب الكاذبة[1] .

وبناء على ذلك . . كان حرص القيادة المصرية على مداومة رفع وخفض حدة القتال ، وفقًا لخطة شاملة ذات أهداف واضحة ، تحسن استغلال الظروف المحيطة والفرص السانحة ، لتبعد القتال عن حالة اللاحرب واللا سلم التي تخدم مصالح إسرائيل ، وترسّخ الأوضاع الراهنة الشديدة الإضرار بحقوق العرب ، وتصرف إهتمام العالم عن متابعة القضية .

وقد تميزت حرب الاستنزاف التي استمرت أكثر من ألف يوم بأنها أول صراع يدور في مسرح الشرق الأوسط ، بين قوات شبه متكافئة فيما تملكه من أسلحة ومعدات ، وتواجهه من فرص قتال ، وذلك على خلاف ما حدث في الجولات الثلاث السابقة ، عندما واجه ثمانون ألفًا من جنود الصهاينة ثلاثين ألف عربي في الجولة الأولى فتجاوزت نسبة تفوقهم

---

(١) Phoney War .

العددي على العرب ٦ر٢ : ١ ، ثم ارتفعت تلك النسبة في جولة خريف عام ١٩٥٦ إلى ٨ : ١ ، عندما حشدت إسرائيل وبريطانيا وفرنسا جنودها وسفنها وطائراتها لتسقط الحكم في مصر ، وتعيد الاحتلال الامبريالي لأرضها وتنتزع ملكية شركة القناة المؤممَّة .

وفي الجولة الثالثة صيف عام ١٩٦٧ كان لإسرائيل في المسرح ربع مليون مقاتل ونحو ٣٧٥ طائرة مقابل ١٢٠ ألفًا وما لا يزيد على ١٥٠ طائرة ، يعني أن كل دول الطوق العربي لم تحشد سوى ٣ر٠ ٪ من تعداد شعوبها مقابل ما يزيد على ١٣ ٪ من جملة تعداد خصمهم ، أي نحو ٤٠ مثل ما حشده العرب ، والذي دخل بعضه المسرح بلباسه المدني ودون سلاح .

كما تميَّزت حرب الاستنزاف أيضًا بتعدد حلبات الصراع وتنوع أشكاله من مجرد مناوشات محدودة إلى اشتباكات عنيفة فمعارك ضارية ، فكانت المرة الأولى التي أجبر العرب فيها إسرائيل على أن تقاتل في مسرح حرب ، بعد أن استمرأت القتال في مسارح عمليات منفصلة ، أو في أرض معركة محدودة ، لتحسم في كل منها قتالاً خاطفًا ، قبل أن تتحول إلى التالية وفقًا لأسلوب العمل من خطوط داخلية التي أتقنت تخطيطه وتنفيذه .

وكانت حرب الاستنزاف كذلك أول صراع مسلح تضطر فيه إسرائيل إلى الاحتفاظ بنسبة تعبئة عالية ولمدة طويلة ، وهو ما ترك آثاره السلبية على معنويات الشعب واقتصاد الدولة ، بدرجة لم يسبق لها مثيل في الجولات السابقة ، لا سيما وقد كان الزعماء الصهاينة قد بشروا شعب إسرائيل بانتهاء معاناتهم ، بعد أن أكدوا لهم إن جولة صيف ١٩٦٧ هي الحرب التي أنهت كل الحروب ، وأن آلة الحرب العربية قد تحطمت تمامًا ولعشرات السنين القادمة .

لقد اضطرت إسرائيل إلى الاحتفاظ بنحو ٢٠ لواء في ذروة احتدام حرب الاستنزاف ، أي ما يعادل ٥٠ ٪ من جملة وعاء التعبئة البرية ، وكل سلاحها الجوي ، ثم ظلت على هذا الوضع الباهظ التكلفة حتى أغسطس ١٩٧٠ عندما توقفت النيران في المسرح فسارعت بخفض نسبة هذا الاستدعاء إلى ١٠ - ١٥ ٪ في القوات البرية ، وإلى ٢٥ - ٣٠ ٪ في القوات الجوية .

ومع أن مصر احتفظت بنسبة تفوق ذلك ، إلا أن نظام التعبئة والتجنيد وهياكل الاقتصاد المصري كانت أقدر على احتمال تبعات تلك النسبة المرتفعة عن إسرائيل التى

يتعطل فيها دولاب العمل نتيجة استدعاء جنود الاحتياط الذين يقومون في حياتهم المدنية بشئون الزراعة والصناعة والتجارة والتعليم والصحة ، وغير ذلك من مجالات الحياة اليومية .

أضف إلى ما سبق أن ممارسة حرب الاستنزاف كان هدفًا يخدم مصالح العرب السياسية والعسكرية ، بينما يضر بمصالح إسرائيل التي كانت حالة اللا سلم واللا حرب تحقق لها هدف ترسيخ الأمر الواقع في المسرح ، وتنعش آمالها برضوخ العرب آخر المطاف .

وعلى خلاف ما حدث في الجولات السابقة لم تنته حرب الاستنزاف بنصر مقطوع أمره لأحد الطرفين ، بل خرجا بشبه تعادل على المستوى الاستراتيجي والتعبوي ، وبمكاسب تكتيكية كثيرة لمصر ، إلى جانب ما أحرزته من مكاسب في موازين السياسة ، بالمقارنة بما كانت عليه من اختلال صارخ في نهاية جولة صيف ١٩٦٧ .

وما إن شعرت الأركان العامة الإسرائيلية برجحان كفة الميزان لصالح مصر حتى بادرت بدفع قواتها الجوية لضرب عمق مصر ، ثم زادت توغلها فيه لتحرم مصر من مكاسب حرب الاستنزاف ، وتظهر للملأ أن أحدًا لا يستطيع أن يقف في وجهها .

ولهذا كان وقع خبر وصول قوات الدفاع الجوي السوفيتي لحماية سماء مصر من غارات العمق شديدًا على كل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ، التي كان أشد ما يزعجها أن ينجح الكرملين في تثبيت قدمه في الشرق الأوسط نتيجة هذا التدخل العسكري الضخم في الصراع الدائر فيه ، ولهذا بادرت إلى تعديل سياستها إزاء مصر ، ثم راحت تطرح المبادرات التي تحمل حلولاً وسطًا للمشكلة .

وبمجرد أن درأت قوات الدفاع الجوي السوفيتي خطر غارات العمق الإسرائيلية عن مصر ، انكمش تفوق إسرائيل الجوي وفقد عنفوانه في نفس الوقت الذي برزت فيه احتمالات وقوع المصادمة مع الاتحاد السوفيتي بما قد يؤدي إلى حرب عالمية . وكان هذا الاحتمال أحد الأسباب التي دفعت الولايات المتحدة إلى طرح مبادرتها ، بعد أن ضعف الموقف السياسي والعسكري الإسرائيلي وسبَّب لها بعض الحرج .

وتكشف تلك الحقائق عن أن تدخل السوفيت كان هدفًا أساسيًا ، عمل له الرئيس عبدالناصر بكل همة ليدفع البيت الأبيض إلى إعادة تقدير موقفه من الصراع ، والعمل على

منع وقوع صدام جديد بين الخصمين ، مع الحد من استفحال الوجود العسكري السوفيتي في المنطقة ، الذي اقترب من الحصول على قواعد عسكرية فيها ، وذلك عن طريق إقناع غالبية الدول العربية بأن الولايات المتحدة هي الأقدر على الوساطة في شأن الحل الوسط الذي يرضي كافة الأطراف ، بل والأقدر على تنفيذه بما لها من دالة على إسرائيل .

ولأنها المورد الرئيسي لإسرائيل بالأسلحة والمعونات الاقتصادية والثقافية ، وبالمؤازرة السياسية ، والضامن لها باستمرار التفوق الجوي والالكتروني على العرب . . فقد نجحت الولايات المتحدة في دفع إسرائيل لبدء ديالوج التفاوض الذي مهد له وليم روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة بالمبادرة التي حملت اسمه ، وذلك رغمًا عمَّا نصت عليه ضمنًا من قبول إسرائيل الانسحاب من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ ، وهو ما كانت تصر قبل ذلك على رفضه .

إيجابيات الاستنزاف على الجانب العربي :

لم يأت الحكم بأن إسرائيل كانت الطرف الأكثر ضررًا في حرب الاستنزاف من داخل مجموعة الدول العربية أو المحافل الدولية ، بل من قلب المؤسسة العسكرية الإسرائيلية نفسها ، وعلى لسان أبرز قادتها ، إذ أكد اللواء عايزر وايزمان أن بلاده كانت الطرف الخاسر من الاستنزاف في كلا المجالين السياسي والعسكري ، لفشل القائمين على تخطيطه وإدارته في تجنُّب العثرات التي أدت إلى دخول السوفيت طرفًا في الصراع ، وكذلك لجهلهم بأسباب ونتائج غارات العمق التي لم تسقط الزعامة المصرية أو ترهب الشعب المصري كما كانوا يأملون ، بل كشفت عن التطرف الإسرائيلي في قصف أهداف مدنية راح ضحيتها أطفال أبرياء ، مما أثار الضمير العالمي ودفعه إلى التعاطف مع العرب .

فغياب الهدف السياسي والعسكري في الخطة الرئيسية الإسرائيلية للاستنزاف ، إلى جانب التخبُّط في إدارته ، والتقدير المتغالي فيه لنتائجه ، مقابل التحقير للأداء العسكري المصري والتهوين من شأنه ، قد أسهم كل ذلك في إهدار نصر ١٩٦٧ ، خاصة من جانبه المعنوي ، ثم جاء الفشل الأكبر في منع إقامة حائط الصواريخ المصري وزحفه إلى حافة القناة ، ثم الفشل في تدميره ، بعد أن أصبح حقيقة واضحة ظهر أثرها جليًا عصر السادس من أكتوبر ، عندما اضطر قائد السلاح الجوي الإسرائيلي أن يأمر طائراته بالابتعاد عن ضفة

القناة حتى لا تقع فريسة لصواريخ الدفاع الجوي المصري المحكمة التصويب ، فترك بذلك جنود مصر يخوضون المعركة لأول مرة ، دون أن تنهال عليهم قذائف الطائرات من الجو فتدمر معداتهم وتحطم جسورهم وتبعثر حشودهم .

ثم يمضي اللواء وايزمان في حديثه في الصفحات ٣١٣ - ٣١٨ من كتابه : « هذه السماء ملكك ، وكذلك تلك الأرض » [٢] فيقول : « إن هذه الغارات العميقة التي هدفت إلى إحراج وإسقاط نظام الحكم في القاهرة قد جاءت بنتيجة مختلفة تمامًا ، إذ زادت قواعد هذا الحكم ثباتًا بينما فتحت المجال لدخول السوفييت بجحافلهم في المسرح ، مما أفقد إسرائيل أهم ركائز التفوق على العرب ، وهو المجال الجوي الخالص لها ، والذي لم تعد تشكيلاتها البرية تحسن القتال في غيابه » .

وينتقد وايزمان موقف إسرائيل من حرب الاستنزاف عمومًا ، فيؤكد إنها يجب أن تدخل التاريخ بوصفها الحرب التي خسرتها إسرائيل » .

أما اللواء متتياهو بيلد فيعزو فشل إسرائيل في حرب الاستنزاف إلى تدهور مستوى تفوقها الاستراتيجي على العرب ، مع عدم تمكنها من وضع حد للتدخل السوفيتي في القتال سواء باستنهاض همة الولايات المتحدة ، أو بالإقتناع عن تقديم المبرر للكرملين بالتدخل . وفوق كل ذلك الفشل الأكبر في عدم إسقاط نظام الحكم في مصر ، والذي كان الهدف الأول من غارات العمق [٣] .

ولا يماري أحد اليوم في أن إدخال الزعامة المصرية للسوفيت في المسرح ، يعتبر نجاحًا للسياسة المصرية ترتب عليه إمكان دفع حائط صواريخ الدفاع الجوي حتى حافة القناع ، والذي لولاه لما استطاع التخطيط المصري أن يخوض الجولة الرابعة فى أكتوبر ١٩٧٣ .

وقد أكد الرئيس عبد الناصر قبل وفاته بشهرين أن المعونة السوفيتية المتنامية كمًا ونوعًا ومكانًا ، قد أسهمت في تغيير الميزان الاستراتيجي في المسرح ، كما أتاحت للقوات المسلحة المصرية أن تبدأ التجهيز الجاد لتوجيه لطمة عنيفة للعدو بمجرد أن يحين حينها [٤] .

---

(٢) Ezer Weizman, Thine The Sky, Thine The Land, MA'Ariv, Tel Aviv, 1975. .

(٣) جريدة معاريف ، عدد مايو ١٩٧١ ، الصفحة الخامسة .

(٤) خطاب الرئيس عبد الناصر يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠ ، الإذاعة المصرية ، البرنامج العام .

ثم إن جذور نجاح القوات المصرية في تدمير الهجمات والضربات الإسرائيلية المدرعة على امتداد أيام ٧ ، ٨ ، ٩ أكتوبر ١٩٧٣ نبتت من تربة حرب الاستنزاف ، وما طرحته من خبرات قتالية ، وما ترتب عليها من تطوير في الأساليب والكفاءة القتالية والمعرفة الحقيقية بالعدو من واقع القتال المتلاحم معه ، وليس مجرد الاستماع لأهازيج قوته وانتصاراته .

سلبيات الاستنزاف على الجانب العربي :

لم يقتصر الاستنزاف على جبهة قناة السويس فقط ، بل شاركت فيه أغلب جبهات دول الطوق العربي بقدر متفاوت كمًا وكيفًا وزمنًا ، وكذلك المقاومة الفلسطينية من داخل وخارج الأرض المحتلة . إلا أن إهمال وضع خطة مشتركة أو تنسيق للتعاون بين تلك الأنشطة ، قلل من ثمار الجهد الكبير المبذول والدماء الغالية التي سفكت خلاله .

والواقع أن ذلك الإهمال يشكّل إحدى الظواهر المزمنة للتخطيط والأداء العربي على طول امتداد سنوات الصراع السياسي والعسكري ضد إسرائيل ، بما يعني أنه ليس أمرًا طارئًا أو عارضًا ، بما يجعل ضرورة علاجه هدفًا قوميًا من الطراز الأول .

ثم إن الخطة الرئيسية لحرب الاستنزاف التي رسمتها القيادة العامة المصرية بإشراف مباشر ومتابعة دقيقة من رئيس الجمهورية لم تحكم ضوابط التصعيد والتهدئة ، الأمر الذي ظهرت نتائجه المعاكسة ، بل والخطيرة ، خلال الفترة الأخيرة من تلك الحرب عندما دفعت الأركان العامة بسلاح الطيران الإسرائيلي في معركة ضارية داخل أعماق مصر وحيثما شاءت .

وكم كان يجدر بجهاز التخطيط المصري ، الذي أبدى براعة حقيقية في رسم بعض الخطط ، أن يتريث في سلم التصعيد حتى يؤمن عمق مصر فلا يكشف عن مدى ضعفه في وقاية الأهداف السياسية والاقتصادية ، وما ترتب على ذلك من خسائر فادحة .

أثر الاستنزاف في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية :

نشرت المجلة العسكرية لجيش الدفاع الإسرائيلي أن القوات الإسرائيلية فقدت خلال حرب الاستنزاف وبسببها أربعين طيارًا ، وأن خسائرها في التشكيلات البرية بلغت ٨٢٧ قتيلاً و ٣١٤١ جريحًا وأسيرًا ، وهي أرقام تقل كثيرًا عما ورد بكتاب زيف شيف ومقالة شلوموجازيت [٥] عن نفس الموضوع .

(٥) Ze'ev Schiff, Phantoms Over The Nile, Shikmonah, Haifa, 1970 .
ومجلة بامحنيه ، عدد نوفمبر ١٩٧٠ .

كما ذكر في نفس المقالة إن خسائر حرب الاستنزاف بلغت ٢٧ طائرة ومدمرة واحدة (وهي المدمرة إيلات) وسبعة زوارق وسفن إنزال ونقل بحري ، و ١١٩ مجنزرة و ٧٢ دبابة ، و ٨١ مدفع وهاون .

هذا عن الاستنزاف في المجال العسكري ، أما في مجاله الاقتصادي فقد بلغ مقدار ماتحمله كل مواطن إسرائيلي من أعباء الإنفاق العسكري على الاستنزاف نحو ٤١٧ دولاراً خلال عام ١٩٧٠ ، بينما لم يكن يتجاوز ١٣٨ دولاراً عام ١٩٦٦ ، بما يعني أن عبء الاستنزاف على الاقتصاد الإسرائيلي زاد بنسبة ٣٠٠ ٪ على كل مواطن تقريباً .

وقد أشار موشيه ديان نفسه إلى جانب من تلك الحقيقة في محاضرة ألقاها على طلبة كلية القيادة والأركان بتل أبيب يوم ١٧ أغسطس ١٩٧٢ ، حيث قال : « إن تكاليف الإنفاق العسكري في الأراضي العربية المحتلة منذ نهاية جولة يونيو ١٩٦٧ ، حتى سبادرة روجرز في ٧ أغسطس ١٩٧٠ بلغت ١٣٦٢ مليون ليرة إسرائيلية (حوالي ٣٢٠ مليون دولار) ، وقد ذهب أكثر من ٦٠ ٪ منها في مواجهة تكاليف حرب الاستنزاف وترميم خط بارليف .

وتعكس الزيادة الكبيرة في هذا الإنفاق العسكري آثار حرب الاستنزاف على الاقتصاد الإسرائيلي من ناحية ، وازدياد الواردات العسكرية بمقدار ثلاثة أمثال ما كانت عليه عام ١٩٦٧ لتصل عام ١٩٧٠ إلى ٧٧٨ مليون دولار . وهناك ما يشير إلى أن إسرائيل أنفقت ٤١٥ مليون دولار من احتياطيها في شراء معدات حربية ، لم تسجلها في ميزان مدفوعاتها .

وعلى الجانب المصري . . لم تكن التكلفة تقل عن ذلك ، إذ اضطرت الحكومة إلى تهجير نحو ٧٥ر٠ مليون مواطن من منطقة قناة السويس إلى مناطق أكثر أمنًا بالداخل ، وفك أغلب المصانع مما حمل الاقتصاد المصري نحو ٦٣٥ مليون دولار سنويًا ، منها ٢٣٠ مليونًا خسائر مباشرة نتيجة فقد عوائد عبور السفن للقناة ، و ٥٠ مليونًا نتيجة فقد أغنى آبار البترول المصرية بسيناء الجنوبية ، و ٧٠ مليونًا إعانات للمهجرين من القناة ، و ٥٠ مليونًا نتيجة توقف عائدات السياحة ، كل ذلك بالإضافة إلى تكلفة حرب الاستنزاف نفسها ، والتي أرهقت الاقتصاد المصري ، وكادت تودي به لولا مساعدات الأشقاء العرب .

وعلى الجانب السياسي لحرب الاستنزاف . . ظهر ضعف فعالية الجبهة الشرقية نتيجة إحجام حكوماتها لعدة اعتبارات سياسية عن تسخين الجبهة ولرغبة بعض الأنظمة ترك مصر

والمقاومة الفلسطينية يواجهان إسرائيل ، بعد أن أعلنا رسميًا عن عدم التزامهما بقرار وقف إطلاق النيران الصادر في يونيو ١٩٦٧ ، وعزمهما على مواصلة حرب الاستنزاف ضد إسرائيل ، حتى تنفّذ ما عليها من التزامات بالقرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الأمن .

وقد أثار استرخاء جبهتى لبنان وسوريا ثم الأردن مشكلات عويصة لإدارة العمل الفدائي الفلسطيني من تلك الجبهات ، وما تبع ذلك من فرض قيود شديدة على حركة المقاومة الفلسطينية فيها ، ثم قيام حكومة الأردن بتصفيتها فيما عرف « بأيلول الأسود » في يوليو ١٩٧٠ .

هل كان الاستنزاف حربًا محدودة ؟

لقد حدث التصعيد الأكبر في سلم الاستنزاف ، عندما دفعت الأركان العامة الإسرائيلية بطائراتها لقصف الأهداف السياسية والاقتصادية في عمق مصر . وكان الهدف من وراء ذلك هو تحطيم إرادة مصر السياسية وقدرتها على مواصلة الكفاح ، وهو ما يتجاوز الحدود التقليدية لأهداف حروب الاستنزاف ، حتى وإن ظلت الوسيلة القتالية لتحقيقه محدودة الحجم والشدّة داخل تكتيكات الضرب والهرب (Tip & Run) .

وحيث كان هدف الاستنزاف المضاد الإسرائيلي بعد دفع طائراتها لقصف عمق مصر هو إسقاط حكومة القاهرة ، فإنه يكون قد نقل الصراع إلى آفاق الحروب غير المحدودة سعيًا وراء تغيير جذري في الموازين السياسية بما لا يصح اعتبارها إحدى وسائل الاستنزاف التقليدي .

وإلى جانب هذا التصعيد الكبير في المجال والأهداف . . فإنه أجبر القوات المسلحة المصرية على أن تجنّد كل قوتها في الصراع ، بل وبجزء كبير من قواتها الشعبية ، ثم بدعوة عناصر سوفيتية لحمل بعض أعباء الدفاع الجوي الثقيلة عنها ، وكان في كل ذلك تجاوز آخر لإطار الحرب المحدودة بصورتها المتعارف عليها في المعاجم العسكرية .

خاتمة :

لقد كانت حرب الاستنزاف ضرورة لا غنى عنها لمصر والعرب ، ظهرت جدواها عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ وما تلاه من أيام ، بيّنت الفارق الكبير بين مقاتل صيف ١٩٦٧ ومقاتل خريف ١٩٧٣ ، وكذلك بين قياداتهما وأجهزة أركانها ، والذي يعود أغلب أسبابه

إلى الخبرة المكتسبة والدروس المستفادة من حرب الاستنزاف التي مهدت لها طريق النصر .

كما شهدت حرب الاستنزاف صراعًا محتدمًا بين الطائرة والصاروخ ، وضع حدًا للتفوق الجوي الذي انفردت به إسرائيل في الجولات السابقة ، كما شهدت أيضًا مولد الحرب الإلكترونية المصرية التي يعود الفضل في نشأتها إلى الفريق أول عبد المنعم رياض شهيد حرب الاستنزاف الغالي ، والتى لم تتم العام السادس من عمرها حتى شبَّت عن الطوق .

وإذا عبرَّ خروج الإسرائيليين إلى الطرقات يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠ لإظهار فرحتهم بوقف نيران الاستنزاف وانتهاء كابوس خسائره التى ضاعفت من إعداد الجنازات اليومية التي تخترق شوارع المدن والقرى ، فقد جاء خطاب الفريق حاييم بارليف لمرؤوسيه الذي ألقاه بمناسبة إحالته إلى التقاعد تعبيرًا عن هذا الواقع بقوله : « إذا ما استؤنف إطلاق النيران مرة أخرى فعليكم أن تختاروا مجالات عمل وأساليب قتال أكثر تطورًا وابتكارًا عما اتخذناه نحن في حرب الاستنزاف التي خضنا خلالها قتالاً مريرًا طويل الأمد ملطخ بالدماء ، وذلك لأن ظروفًا كثيرة قد طرأت على المسرح ، نتيجة ما اكتسبه المقاتل المصري من خبرات قتالية واسعة » [٦] .

وفي هذا القول ما يغني عن كل قول في شأن حرب الاستنزاف ، التي كثر فيها القول وتضاربت الآراء .

(١) جريدة معاريف ، عدد ٨ أكتوبر ١٩٧٠ .

الجدول رقم (١) [٧]

يبين تعدد مجالات الصراع المسلح وتنوع أشكاله

خلال مرحلة الاستنزاف

السـلاح	الأسلوب	عدد أعمال القتال	نسبتها المئوية
أسلحة صغيرة وخفيفة	تراشق بالنيران	٤٢٠٦	٪ ٤٥
ألغام وقنابل يدوية ومفرقعات	بث ألغام وإلقاء قنابل يدوية	١٥٦٩	٪ ١٦٫٦
عناصر برية وفدائية	عبور القناة وتسلل إلى العمق	١٢٥٠	٪ ٩٫٤
عناصر قوات خاصة وضفادع بشرية	كمائن	٣١٦	٪ ٣٫٤
عناصر جوية	معارك جوية	٥٤	٪ ٠٫٠٩
عناصر بحرية وقوات خاصة	إبرار بحري ونشاطات بحرية	٦	٪ ٠٫١
عناصر دفاع جوي	معارك دفاع جوي	١٩٨٠	٪ ٢٥
المجموع		٩٣٨١	٪ ١٠٠

الجدول رقم (٢) [٨]

أنشطة جبهات الطوق خلال مرحلة الاستنزاف

الجبهة	عدد أعمال القتال	نسبتها المئوية	ملاحظات
لبنان	١٨١	٪ ١,٩	أقل الجبهات نشاطًا
سوريا	٣٤٦	٪ ٣,٧	
الأردن	٣٤٢٥	٪ ٣٦,٦	أغلبها نشاطات المقاومة الفلسطينية
مصر	٤٤٣٣	٪ ٤٧	أكثر الجبهات نشاطًا
داخل إسرائيل	٩٩٦	٪ ١٠,٨	أغلبها نشاطات المقاومة الفلسطينية
جبهات أخرى	--	--	—
المجموع	٩٣٨١	٪ ١٠٠	

(٧) مجلة السياسة الدولية ، حسن البدرى ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٩٦٧ - ٩٨١ .

(٨) المرجع نفسه ، نفس الصفحات .

الجدول رقم (٣) [٩]

خسائر إسرائيل البشرية خلال مرحلة الاستنزاف

الجبهة	قتلى	جرحى	المجموع الكلي	النسبة المئوية	ملاحظات
لبنان	٣٤	٩٦	١٣٠	٪ ٢,٦	أقل الخسائر
سوريا	٣٥	١٦٢	١٩٧	٪ ٤,٤	
الأردن	٣٣١	١٢٢٦	١٥٥٧	٪ ٣١,٤	أغلبها نشاط فدائي فلسطيني
قطاع غزة	٤٨	٣١٢	٣٦٠	٪ ٧,٣	
مصر	٥٠٢	١٣٢٨	١٨٣٠	٪ ٣٨,٣	أشد الخسائر
داخل إسرائيل	٧٨	٧٣٨	٨١٦	٪ ١٦,٤	أغلبها نشاط فدائي فلسطيني
المجموع	١٠٢٨	٣٨٦٢	٤٨٩٠	٪ ١٠٠	

(٩) المرجع نفسه ، نفس الصفحات .

المؤلف فى حفل تكريم الشيخ سعد العبد الله
خلال زيارته للجيش الثانى الميدانى

الأبطال الخمسة الذين أسروا الضابط الإسرائيلى
« دان أفيدان » سيرابيوم ١٩٦٩

الفصل السادس

جولة مع فكر عبد الناصر
١٩٥٢ - ١٩٧٠

يوم ٨ أكتوبر ١٩٥١ صرح النحاس باشا « وقعنا المعاهدة من أجل مصر ونلغيها من أجل مصر » وهكذا تم إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وكنت وزميلي النقيب حسن عليش ندرس في مدرسة المشاة فى ورمنستر بإنجلترا وكذا عدد كبير من ضباط مختلف وحدات الجيش المصري موزعين في مدارس تعليمية عسكرية ببريطانيا ، وصدرت الأوامر بإلغاء الفرق التعليمية في بريطانيا وعودة كل المبعوثين المصريين إلى الوطن .

وعملية إلغاء معاهدة ١٩٣٦ كانت عملية مظهرها وطني ، ولكن قد يكون واقعها مناورة بين الحزب الحاكم وهو الوفد في ذلك الوقت والملك ، وهذه لعبة سياسية لا تهمنا هنا كثيرًا . ولكن ما يهمنا هو أن الأحداث بدأت تتحرك بسرعة أكبر فقد تأرجح الموقف السياسي على الساحة المصرية والإنجليز يحتلون مصر وقواتهم العسكرية رابضة على أراضينا . والصراعات السياسية بين الأحزاب مستمرة وبين الأحزاب والسرايا ، وكلها صراعات على مناصب ومصالح ، وليست صراعات من أجل مصر . ثم حدث حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ ، ثم خططت الحكومة لتشتيت بعض وحدات الجيش من القاهرة إلى خارجها بزعم الدفاع عن القاهرة إذا تحرّك الإنجليز من قاعدة القنال ، وحدثت أحداث واستشهد عدد من رجال البوليس في الإسماعيلية وصدرت عدة نشرات إعلامية ضخمة للإشادة برجال الشرطة وبطولاتهم ووزعت عليهم النياشين والجيش في مواقعه ومعظمه خارج القاهرة ، ولكنه ممتلئًا بالانفعالات للظروف السيئة التي تشتعل أحداثها في مصر .

وكان عبد الناصر مدرسًا في كلية أركان الحرب بعد أن نقل من مدرسة الشئون الإدارية بالعباسية إليها ، وكان هو القائد الحقيقي لتنظيم الضباط الأحرار ، وكان له مشجعون كثيرون وله مكانته واحترامه ، وكان اللقاء مع عبد الناصر يوحي إليك بقوة شخصية هذا الرجل ونفاذ أشعة عيونه إلى القلوب احترامًا وإكبارًا ، وكما قلت قبل هذا في اللقاء الأول كانت عيونه كعيون الصقر قوة وحدّة .

وليلة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحوالى الساعة ١٩٣٠ يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ مررت ومعي أسرتي على قهوة في ركن من أركان ميدان سفير بمصر الجديدة ، حيث سلمت على القائد عبد الناصر ومعه الصاغ عبد الحكيم عامر واعتقد البكباشي زكريا محيي الدين وهم جلوس على ناصية الشارع على باب القهوة يتحدثون ، وبالطبع لم أكن أعلم بما يجيء به الغد !!

بمجرد نجاح الثورة فرضت الظروف تطورات وأحداثًا لم تكن منتظرة ، فبعد أحداث خروج الملك فاروق من مصر وإلغاء الملكية (النظام الملكي) بعد ذلك بعام تقريبًا ، تولت الثورة سلطة السيادة الكاملة على الدولة، وبدأت في تعيين عددًا من الضباط الأحرار لتولي أمر الحكم لضمان الأمان للثورة . بل وتولي أمر الأجهزة الإدارية والفنية والتجارية والاقتصادية والمالية والأمنية في كل قطاعات الدولة ، وكان التركيز على أهل الثقة قبل أهل الخبرة في إدارة هذه الأجهزة والسيطرة عليها ، وحدث هذا أيضًا في قيادة الوحدات العسكرية وما يخص القوات المسلحة من أجهزة .

واختار عبد الناصر ورفاقه محمد نجيب بعد جدل ومناقشة كرمز لعملية مرحلية ولاعتبار السن والرتبة ، ولقد كان رجلاً صادق الوعد نقيًا فالتف حوله كثير من أعداء الثورة ، فخشى جمال عبد الناصر على هذا البناء الحديث أن يتصدَّع وينهار فقرر إبعاده عن السلطة وتولى هو القيادة مباشرة وليس من وراء ستار .

أعطت الثورة لجماعة الإخوان المسلمين حماية كما اعترفت بجهودها وجهادها في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وكان لها وضع متميِّز في الأيام الأولى من الثورة . ولكنها بدأت تدخل معها في صراعات عديدة ومتشعبة ، وأهم ما قيل عن الثورة أنها جاءت لتهدم الإسلام وتخرب الأزهر !! ورغم أن فكر جمال عبد الناصر كان متعاطفًا مع الإخوان المسلمون قبل الثورة وفي أيامها الأولى كأمل ، ولكن بعدما أقامت الثورة هيئة التحرير وجد الإخوان المسلمين في قيامها بداية النهاية لهم ، لأنهم تصوروا أن قيام هذا التنظيم سيغطي على أملهم الوحيد في احتواء الثورة . وحدث أنه في ١٥ يناير ١٩٥٣ تغير موقف الإخوان وحدثت محاولة انقلاب في سلاح المدفعية ، وتورطت فيه عناصر إخوانية ، ثم جاءت محاولة اغتيال عبد الناصر في ميدان المنشية بوصفه رمز الثورة ، أن القضاء عليه يهدم الثورة ويحقق للإخوان المسلمين غاية آمالهم . . وهكذا بدأ جمال عبد الناصر تصرّفه الجديد ضد الإخوان المسلمين .

كان تأميم قناة السويس في فكر عبد الناصر منذ أن تم جلاء الإنجليز عن مصر ، وخطط فعلاً لهذا وأمر بتدريب المصريين على عمليات الإرشاد في القناة حتى أتقنوا عملهم على الوجه الأكمل ، حتى إذا تحول الفكر إلى حقيقة سارت الأمور على ما يرام في قناة السويس . . ونجح جمال عبد الناصر في مفاوضاته مع الانجليز في عام ١٩٥٤ ، واتفق معهم على الجلاء وكان يعتمد في هذه المفاوضات على تمسكه وإخوانه في قيادة الثورة بحب

مصر . وكان الشعب المصري بالكامل تقريبًا شعب متماسك يساند الثورة ، مما اضطر الإنجليز إلى قبول الجلاء وتم فعلاً جلاء القوات البريطانية عن مصر بالكامل في يونيو ١٩٥٦ .

أما في الجانب العربي فقد كان فكر عبد الناصر الوقوف مع الدول العربية ضد الاستعمار في كل مكان وبكل قوة ممكنة ، وكانت الإذاعة المصرية الموجهة للجزائر لشد أزر ثورة الجزائر تسبِّب لفرنسا والنظام الفرنسي القلق المستمر . ولما أمَّم عبد الناصر قناة السويس وجدت فرصتها في إنهاء معركة الجزائر بضرب مصر ، حيث تفقد الجزائر السند المادي والمعنوي من مصر ورئيسها ، وكان هم عبد الناصر أيضًا قيام تكتل عربي يحقق أماني العرب ويهدد مصالح القوى الاستعمارية .

لقد اجتازت مصر مرحلة قبل الثورة وخلالها ، كانت فيها الفيضانات دون المستوى الذي يكفي لمتطلبات الحياة والقرآن الكريم أشار في سورة يوسف إلى أيام القحط الشديد والسبع سنوات العجاف ، فجاء فكر عبد الناصر ومن فكر معه ببناء السد العالي .

وقبل العدوان الثلاثي ١٩٥٦ جاء فكر عبد الناصر بتوقعات مهمة للأحداث وقدر موقف الجيش المصري لو قامت الدول الثلاث بالهجوم على مصر ، ورأى أن هذا الحشد للجيش المصري في سيناء قد يجعل سواحل مصر والدلتا مفتوحة أمام ضربات إنجلترا وفرنسا المحتملة ، فأمر بسحب جزء من القوات المصرية من سيناء ليحمي التجميع الرئيسي لقوات الجيش المصري ، وتم فعلاً سحب وحدات من الجيش المصري من سيناء إلى غرب القناة ، وكان لها أثرها الكبير في صد العدوان الفرنسي البريطاني فيما بعد عن قناة السويس خاصة بورسعيد والإسماعيلية والسويس . .

لم يكن في فكر عبد الناصر أن تتم الوحدة مع سوريا ، التي تلقاها الشعب السوري في سوريا والشعب المصري في مصر بالإعجاب والسعادة ، ستكون نهايتها ضربة موجعة في قلب عبد الناصر . ويقال في الأوساط السياسية إنها كانت طعم ابتلعته مصر لتتلقى طعنة كبرى في الصميم بالانفصال الذي خططه العسكريون السوريون مع أعداء مصر وسوريا والعرب عامة وأعداء عبد الناصر خاصة . فقد كان تحقيق الوحدة بالنسبة لعبد الناصر نصرًا شخصيًا لا يشاركه فيه أحد فهي خلاصة جهده السياسي وأمله فى الوحدة العربية .

ووقف عبد الناصر إلى جانب اليمن منذ البداية وبارك ثورتها ضد الرجعية والظلم . وساندها بكل ما استطاع من رجال وعتاد ومال وذهب وجهد وعرق ، وقاوم الدسائس

والشراك الخداعية وكـل المؤامرات ولما زار اليمن في ٢٣ أبريل ١٩٦٤ شـاهد عن قرب حب الجميع له ونسى معـظم رجال قبائل اليمن كل الخلافات وهرولوا إلى صـنعاء ثم تعز خلف الزعيم ؛ ليشاهدوا عن قرب هذا العملاق وقال عبد الناصر أمامهم في تعز وصنعاء :

« يا رجال الجيش المصري في اليمن لسوف يثبت التاريخ أن دوركم في اليمن كان بداية للمرحلة الحاسمة في معركة الحرية ضد الاستعمار وفي معركة التقدم ضد الرجعية » .

- كان ما يعانيه الشعب المصري من فقر ومرض وجهل قبل الثورة في فكر عبد الناصر ووجدانه ، فجاءت قراراته الاشتراكية بهدف تحقيق العدالة الاجتماعية ، وكان هذا هو سبيل الثورة الوحيد للعدالة الاجتماعية .

وجاءت ضربة قاضيـة إلى قلب عبد الناصر بعدوان ٥ يونـيو ١٩٦٧ . وزاد الطين بله شعوره بمدى مـا وصل إليه زميل كفـاحه وصديق عمره عبـد الحكيم عامر ، فقـد كان يمثل ضغطًا على عبد الناصر بمـا يملكه من قيادة للقوات المسلحة التي تمثل مـجال الضغط الرئيسي في يد من يـتولى قيادتها المـطلقة . ورغم أخطـاء عام ١٩٥٦ التي تشبه أخـطاء ١٩٤٨ فلم يحاول جمال عبد الناصر محاسبة المخطئين فـيها ، وربما لم يستطع التدخل لأن المشير عامر كان في حصن حصين بين رجال القوات المسلحة . وفـكر عبد الناصر في إيجاد مخرج للحد من سلطان عامـر ، فأمر بتشكيل مجلس رئـاسة ولكن انقلب الحال لصالـح المشير عامر ، وأصبح بعدها نائبًا للـقائد الأعلى للقوات المسلحة . وكان في فكر عـبد الناصر إقصاء عامر منذ عام ١٩٦٢ ولكـنه لم يستطع ومرت الأيام ثـقيلة قاسية حتـى عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ونتائجه الداخلية والخارجية ، وانتهت بأن لقى المشير عامر ربه في ١٩٦٧ يرحمه الله .

بعد أحداث ٩ و ١٠ يونـيو ١٩٦٧ وأحداث القوى المضادة ضد عبد الـناصر ، وحتى يمكـن محـو آثار الهزيمة تحمَّل عبد الناصـر مسئولية الحكم مرة أخرى . وصـمم على إعادة البناء ، وإعداد الـقوات المسلحـة والشعـب المصـري إعدادًا جادًا للقتـال ، واسترداد ما أخذ بالقوة . . بالقوة . .

وتركزت كـل جهوده فـي العمل عـلى سرعة تمـاسك القوات المسـلحة مع الـشعب والحكومة ، بهدف الإعداد السليم لاسترداد الأرض وتحريرها .

وقدر عبد الناصر الموقف تقديرًا تامًا بوضـع هدف رئيسي للتنفيذ وهو : استرداد الأرض ودرس العوامل المؤثـرة على هذا الهدف ، وطرق الحل المـفتوحة أمامه واختار مـا هو أصلح

للتنفيذ ونادى بأن تقوم يد بالبناء ويد تمسك السلاح ، مع الالتزام بالعلم والمنطق في هدوء وعلى مراحل ، مع استخدام الدبلوماسية والاتجاه السلمي ، والارتباط بدولة صديقه تمد له يد العون دون مذلة أو خضوع .

حرب الإرهاق في تقدير عبد الناصر :

- لقد بدأت مصر بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ عمليات التراشق بالمدفعية من أكتوبر ١٩٦٨ ، وكان الإعتماد الأساسي عليها . ولما حدثت عملية نجع حمادي أوقفنا التراشق بالمدفعية وركزنا الدفاع عن الأهداف الحيوية ، ثم بدأ نشاطنا مرة أخرى في مارس ١٩٦٩ . وأحدث هذا النشاط الإيجابي باستخدام حرب الاستنزاف متاعب للعدو . وما نشر عن هذه الفترة يدل على متاعبهم في جبهة قناة السويس . وبالطبع عملية الاستنزاف بالمدفعية لم تكن الوسيلة الوحيدة فقد بدأ الدفاع النشط بالقوات ، وجرت عمليات بغير خطط معينة وظلت تتكرر حتى استطاع العدو تجهيز خطة مضادة لها فأضاء أرض المعركة ليلاً بمشاعل الطائرات ، وراح يعمل باحتياطياته المدرعة بقوة . .

وبتقدير الموقف وجدنا أن خسائرنا في الاستنزاف كبيرة وأن إسرائيل تعلم هذا ، كما أن القوات الجوية الإسرائيلية أصبحت لها قدرة العمل بحرية ، وهذا يشجعها على زيادة وقت الإغارات الجوية .

وأصبح واجبًا أن نضع خطة مرنة بهدف محدد ومراحل محددة ، حتى نستطيع أن نزيد خسائر عدونا في هذه الفترة . وبالطبع لا إسرائيل ولا أمريكا تقبل أن نتفوق جوًا على إسرائيل . حتى روسيا تتحكم في كمية ونوعية السلاح إلى مصر ولا يعطونا صواريخ أرض جو !!

وإذا بقيت قواتنا المسلحة سليمة فستزداد حرب الاستنزاف ويزداد خطرها بعد الشتاء ، وتستطيع مصر الإعداد للعبور إلى سيناء بقوة أكبر وربما تصل إلى إسرائيل لتحطيم المعنويات الإسرائيلية ، ولذا ، يجب علينا تجهيز الخطة التي نواجه بها الموقف وما هي إمكانية الاستمرار في حرب الإرهاق ضد العدو ؟ وما هي إجراءات تقليل الخسائر في الاستنزاف المضاد ؟ ويجب الخروج بخطة واضحة للاستنزاف .

وبناء على هذا التقدير يجب على القادة بحث **كيفية عمل رأس كوبري في الضفة**

الشرقية في شهر مايو القادم ، ويجب الحصول على معلومات أكثر من داخل إسرائيل ، يمكن الحصول عليها من أي مصدر . ويجب الحصول على أحدث الصور الجوية والمعلومات عن إسرائيل ، ويجب أن يكون لكل فرد فينا خيال للتفكير .

ويجب التصميم على التدريب الواقعي مهما كان السبب ، ونحن لم نوقف القتال حتى الآن . ولكننا لن نستطيع أن نقوم بالرد حاليًا على العدو . ولكن قد تضطرنا الظروف إلى العبور في عامنا الحالي ١٩٧٠ ونطلب من الطيران حمايتنا ، وعلى هذا فالاستنزاف الجوي لقواتنا الجوية حاليًا غير مؤثر ، ويجب عمومًا وضع خطة متكاملة لنتفوَّق على العدو في الاستنزاف .

لقد قررنا حرب الاستنزاف :

هل نستطيع تحملها حيث إنها سلاح ذو حدين . . وفي حالة ما إذا كانت بحد واحد فقط فسنكون نحن عرضة له . .

وبناء على وجهة نظر الرئيس جمال عن حرب الاستنزاف . . أصدر عدة توجيهات وجوبية سبقها بكلمة **يجب** :

- ألا نسمح للقوات من القاهرة بالقيام بعمليات في الجيوش .
- تدريب القيادات عمليًا على العمليات المشتركة .
- التفكير في نقل معسكرات التجنيد من التل الكبير ، وإخلاء منطقة مطار أبو صوير المكدس بالأفراد (كانت الطائرات الإسرائيلية قد أغارت على التل الكبير وأبو صوير أثناء حرب الاستنزاف وأوقعت بهما بعض الخسائر) .
- عدم نقل الضباط من الوحدات لفترة عام أو أكثر حتى تتفرغ التشكيلات والوحدات لرفع درجات الاستعداد . أما القائد غير الصالح فيجب نقله فورًا (أثير موضوع كثرة تنقلات الضباط في الفترة الأخيرة وهذا يضعف قدرة الوحدات) .
- عدم جلوس القادة في المكاتب وأهمية المرور الدائم على الوحدات .
- حل مشاكل الجنود ونحن مستعدون لحلها .
- البحث خلف الشكاوي .

- تحسين طعام الجنود والمرور على مطابخ الجنود .
- محاولة التغلب على مشاكل العهدة لأنها تعني وجود مؤخرات للوحدات . (وهذه مشكلة من المشاكل الروتينية التي يجب حلها وإلا ستسبب خسائر في الأفراد والمعدات لا داعي لها) .
- أن تكون التجهيزات الهندسية كاملة وتحسن يوميًا .
- أن تعلموا أن الدفاع سيطول **ولن نعدي شرقا إلا إذا كنا مستعدين .**
- أن نسير على مراحل جزء جزء ، ويكون فيه نظام سليم للعمل ، ولا داعي لأن يعمل كل القادة مرة واحدة ويجب وضع خطة للراحة ، ولن يتعطل العمل إذا غاب القائد .
- أن تعمل القوات المسلحة على أساس العمليات المشتركة ، مع الابتكار وإدخال أشياء وأفكار جديدة .
- التفكير في خطط الخداع والتضليل ورغم أن الأمثلة كثيرة من الحرب العالمية الثانية ، إلا أننا نحتاج أفكار مبتكرة في هذا النوع من الخطط . .

إسرائيل في فكر عبد الناصر :

منذ أن قامت الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، ونحن في معارك مستمرة ضد الاستعمار وإسرائيل . فقبل ١٩٥٤ كانت معركتنا مع الإنجليز في منطقة القناة ، وفي ١٩٥٥ كانت المعركة عنيفة ضد حلف بغداد حتى انتهت بموت هذا الحلف . واتجهت مصر إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٥ ومن هنا بدأت علاقتنا معهم ، وتطورت الأمور وأوقف قرض تمويل السد العالي وأممت مصر شركة قناة السويس ، ثم وقع العدوان الثلاثي قبل الوحدة بين مصر وسوريا. وقبل الوحدة تعرضت سوريا لعمليات من تركيا (كانت هناك خطة لاحتلال سوريا) ، ومن هنا أعلنت مصر موقفها وأرسلت قوات إلى سوريا عام ١٩٥٧ . وتمَّت الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨ ، وتعرَّضت مصر لحرب بكل الوسائل ، وتكون اتحاد العراق – الأردن الملكيين . وفي يوليو ١٩٥٨ قامت ثورة العراق وقضت على العائلة المالكة ، وأنزل الأمريكان قوات في لبنان وأنزلت انجلترا قوات في الأردن . وأعلنت مصر أنها تقف مع العراق . وسافر عبد الناصر سرًا إلى موسكو من يوغوسلافيا وقابل القادة

السوفيت . ولما عاد إلى مصر شعر بتحول السياسة الأمريكية الإنجليزية إلى احتواء ثورة العراق !! وليس مهاجمتها وانتهى حلف بغداد نهائيًا .

وبدأت نغمة **الخطر الأحمر** وكان رد مصر على أمريكا أن الخطر الأكبر هو **إسرائيل** وليس روسيا . وفي عام ١٩٦١ حصل الانفصال بين مصر وسوريا ، واشتركت فيه كل القوى الامبريالية والرجعية ، ولكن مصر استطاعت الصمود . وفي سبتمبر ١٩٦٢ قامت ثورة اليمن وأعلنت مصر مساندتها لها وأرسلت لها قوات ، ونتج عن هذا مساعدتنا لليمن الجنوبي (عدن) حتى استطاعت الاستقلال .

وفي عام ١٩٦٧ حصل العدوان الإسرائيلي وأعادت مصر تنظيم قواتها بعد هذه العملية . . ففي جميع المعارك والجولات اعتقد الأمريكان والإنجليز أن مصر انتهت ولكن العكس ، وقال عبد الناصر : « نحن في عام ١٩٧٠ ولم ننته !! ولكن انتهت كل خطط الاستعمار في السودان وفي ليبيا » .

وتعهَّدت مصر بأن تقف مع ثورة ليبيا عسكريًا ضد أي تدخل أجنبي ، لأن مصر اعتبرت ثورة ليبيا أهم بكثير من ثورة العراق عام ١٩٥٨ ؛ حيث إن ليبيا لها أهمية اقتصادية كبيرة ، فهي تنتج ١٥٠ ألف طن بترول يوميًا برؤوس أموال أمريكية وغربية ولها أهمية استراتيجية كمنطقة تدريب على الطيران واستخدام الأسلحة . وبعد المؤامرة الأخيرة في ليبيا والتي اشترك فيها وزير الدفاع الليبي . . طلبت ليبيا من مصر إرسال قوات ، وأرسلت مصر فعلاً كتيبة صاعقة بملابس مدنيَّة ، كما طلبوا قوات مدرعة تحتشد قرب الحدود وأرسلت مصر قوات مدرعة إلى مرسى مطروح ، وطالب زعماء ليبيا بخطوات وحدوية ، واتفقت مصر وليبيا على بدء توحيد القوات المسلحة .

هذه هي التطورات العنيفة في المنطقة وموقف مصر منها . ومعناها أن مصر لم تنته بل بالعكس ، وعلى هذا لم يبق لأمريكا غير إسرائيل تستخدمها ضد مصر .

والحقيقة أن أهم مميزات إسرائيل هى جهاز مخابراتها إذ تحصل على معلومات عن مصر بكل الطرق والوسائل ، ومنها : الاستطلاع الجوي اليومي وحل الشفرة ومن الأسرى والوثائق ومن العملاء والجواسيس بالتعاون مع المخابرات الأمريكية . كما أن الضباط المصريين يمرون على المكاتب المختلفة وفي النوادي يقولوا أي كلام وأنا (هكذا قال عبد الناصر) أعرف هذه المعلومات وغيرها من ابنتى سنى التى تسمعها في نادي هليوبوليس !!

بهدف تشديد الضغط على الحكومات العربية لقبول التسوية مع إسرائيل ، وفي نفس الوقت إبعاد الخطر عن المستعمرات الإسرائيلية الشمالية .

ولقد تعاقدت إسرائيل مؤخرًا على شراء عدد كبير من الحوامات . وفي أواخر ١٩٧٠ سيكون لدى إسرائيل ٣٠٠ حوامة ، كما وحد العدو المشاه مع القوات الخاصة في قيادة واحدة .

تعمل إسرائيل بقوة وحشد . ويستطيع العدو تدمير القوات المنعزلة في حدود السرية وهذا ما حدث فعلاً وإذا اضطررنا إلى هذا الأسلوب . . فيجب أن نعتمد على الدرع وتوفير الحماية للقوات كما يفعل اليهود .

كما قامت القوات الإسرائيلية منذ حوالي ٦ أشهر بتجهيز المضايق - متلا والجدى -

إسرائيل في حالة قلق وتوتر مستمر فالوضع السياسي والاقتصادي في إسرائيل صعب ، وبالطبع لديهم خريطة اقتصادية كاملة لجميع الدول العربية ، ويعرفوا عنا كل شيء . . وهم يفضلون زيادة النشاط العسكري ضدنا لإنهاء حرب الاستنزاف ، وتقبل مصر إيقاف القتال .

وقد أوضح ناصر نقطة مهمة في عملية التخطيط الإسرائيلي أن ٥٠ ٪ من عملياته عمليات سياسية ، ويرتب لها العدو ترتيبًا كبيرًا ، وتخترع قصصًا خيالية وأسلوب الدعاية التي يتبعها مؤثر وله تأثير كبير علينا في الخارج ، ولقد نجح في عملية رادار البحر الأحمر ، وقد يعيد الكرة مرة أخرى في الدلتا . المهم أنه يريد فرض إرادته بالقوة والتأثير على الجبهة الداخلية .

وعاد عبد الناصر بالذاكرة إلى ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وقال :

- قبل ٥ يونيو كان هناك توقع ولم يكن هناك استنتاج . وفوزي وصادق كانوا موجودين وأنا قلت **يوم ٥ يونيو سيحصل شيء** ، وتقديري ليس معلومات ولكن استنتاج من تغيير الحكومة وغيره . ولم يقدر أحد أن يوم ٥ يونيو سيحدث فيه الهجوم ، ولم يكن في القاهرة أي قادة !! وتقدمت قوات العدو في الفجر دون أن يشعر بها أحد ، وكان اليهود يبنون خططهم يومًا بيوم ، ولم تستطع مخابراتنا الوصول إلى شيء !! فكيف نعتمد على هذه المخابرات . . ويجب أن تعرفوا أن العدو سيعمل خطة خداع وإحنا بنعرف

المناورات من استخدام اللاسلكي ، والعدو دائمًا يعمل مشروع بعد مشروعاتنا يفتح لاسلكي ، وقد يعمل العدو مشروعات بشبكات لاسلكية ويدخل في غرض آخر . ويجب أن نفكر في عدة وسائل لمعرفة نوايا العدو للهجوم . . ارجعوا إلى خطة خداع العلمين التى عملها مونتجمرى وإلى كتاب جينز . ونستطيع طلب أسلحة متطورة من روسيا ، وأن نعمل جيش الداخل وتوفير أسلحة مضادة للطائرات مع كل الوحدات خاصة كتائب الدفاع المستقلة ، حتى يمكن للكتائب التحرك بسهولة .

كيف تستخدم امريكا إسرائيل ضد مصر ؟

- في عام ١٩٥٦ استنكر العالم العدوان الثلاثي على مصر لأن دولتين كبيرتين تهاجم دولة صغيرة ، ولم يوافق بن جوريون على دخول إسرائيل الحرب إلا بعد توقيع اتفاق على غطاء جوي فرنسي إنجليزي لأراضى إسرائيل. وبدأ تنفيذ المخطط في البحر الأحمر . ومن الواضح أن مدمراتنا اشتبكت مع مدمرات فرنسية وليست إسرائيلية ، وبالطبع كان هناك غطاء جوي فرنسي / انجليزي / أمريكي .

ومن الطبيعي عند التفكير في عملية أخرى فسوف يقتصر على استخدام إسرائيل وحدها أنسب على أساس أنها تخدم الأهداف الأمريكية في المنطقة . . ونعتقد أن أمريكا ستدفع إسرائيل أكثر وأكثر ، وقال الجنرال بارليف « إننا حطمنا القوات المسلحة المصرية عام ١٩٦٧ ، ولكن المرة القادمة سنحطم المقاومة العربية كلها » .

- كان تقدير القيادة العربية السياسية أن الهجوم على مصر سيشتد في الشهور القادمة ، فإسرائيل تعتقد أننا سنعبر القناة شرقًا في الصيف ، ولذا ستقوم بكل طاقتها بأعمال تمنعنا من بناء قوتنا وإعداد القوى باستنزاف دفاعنا الجوي وسلاحنا الجوي . . ونحن لا نحارب إسرائيل وحدها ولكن وراءها الصهيونية العالمية والاستعمار العالمي . .

- ميزانية إسرائيل في العام الحالي ١٩٧٠ حوالي ١٨٠٠ مليون دولار ويستطيعوا الحصول على طيارين من كل بلاد العالم التي بها يهود مثل أمريكا وفرنسا وجنوب افريقيا وغيرها . ومعنى ذلك أن هناك في الجانب الآخر إعدادًا للقوى للقتال والعدوان . ومن الآن حتى يوليو ١٩٧٠ ستركز إسرائيل كل مجهوداتها لتمنعنا من إعداد قوانا لعبور القناة .

أمريكا لا تريد منا إلا الاستسلام والمخطط الموضوع بدقة بيد أمريكا وإسرائيل يهدف إلى تحقيق هذا ، ويجب علينا الحذر في تقدير عبد الناصر أن **هذا المخطط هو** :

فمن اليوم (يناير ١٩٧٠) حتى يونيو ١٩٧٠ :

ضرب كل وسائل الدفاع الجوي بالجبهة ثم العمق وكذا المطارات الأمامية مع استمرار قصف قوات الجبهة ، حتى يطمئنوا على عدم قدرتنا على العبور مع استمرار حصولهم على المساعدات الأمريكية السياسية والعسكرية والاقتصادية . وقد بدأ العدو في حل مشاكل حرب الاستنزاف بإعادة خطوطهم الدفاعية للخلف فقلت خسائرهم .

من أول يوليو ١٩٧٠

القيام بالعمليات الخاصة لكسر الضربات ، وللعدو هدف وخطة لتنفيذ هذا المخطط من يوليو .

- وتستطيع إسرائيل القيام بإغارات متتالية لمدى ٢٤ ساعة أو أكثر بهدف القضاء على القوات المصرية ، وإذا نجحت فستحاول تنفيذ مخطط **ديان** :

- وهو احتلال المنطقة الشمالية من الأردن حتى العراق .

- واحتلال درعا السورية .

- واحتلال الجنوب الشرقي في لبنان .

عبد الناصر والسوفييت :

في يومي ٧ يناير ويوم ١٠ من عام ١٩٧٠ عقد أول اجتماع مشترك ، يضم قادة القوات المسلحة المصرية وكبير الخبراء السوفييت في مصر الجنرال كاتشكن وكل المستشارين السوفيت في القوات المسلحة المصرية حتى مستوى مستشاري قادة الجيوش والمناطق العسكرية ، والقوات الجوية والبحرية وقوات الدفاع الجوي ، وحضر ناصر ومعه نائبه السادات ووجه الرئيس جمال حديثه إلى كبير الخبراء السوفيت قائلاً له :

« نحن نقدر جهودكم في كل شيء وفكرة الخبراء هي فكرتي وأنا صممت على هذا لأننا نريد أن نتعلم وأمامنا معارك كبيرة جداً إما نستسلم أو نقاتل . . »

وكان الواضح من زيارة الرئيس بودجورني أن مشكلتنا الأساسية هي الدفاع الجوي

والطيران واستراتيجية إسرائيل مبنية على أساس الاحتفاظ بالتفوق الجوي لعدم إمكانها الدخول في سباق لباقي الأسلحة الأخرى .

والحقيقة أن المعركة قادمة ، وفيها سمعتكم كسوفيت لأن سمعتنا ضاعت عام ١٩٦٧ وديان يقول إنه المخطط السوفيتي !!

ويجب أن تكونوا - موجهًا حديثه إلى المستشارين السوفييت - **مسئولون مسئولية مباشرة** لأجل سمعة العسكرية السوفيتية وهذا ليس كلامي فقط ولكن الأمريكان قالوا هذا أيضًا في المجلة العسكرية الأمريكية عدد ديسمبر ١٩٦٩ Military Review ، وتوجد بيننا مصالح مشتركة نريد السلام ولكن أمريكا لا تريد منا إلا الاستسلام .

وعلى أساس هذه المسئولية المشتركة بيننا وجدت ضرورة هذا الاجتماع . . ثم كرر **انا اعتبر انكم مسئولين مسئولية مباشرة** .

ورد الجنرال كاتشكن قائلاً (إن هذا كله حقيقي ونجاح المدرس مرتبط بنجاح التلميذ) ، وكان رد عبد الناصر : (وأنا مسئول أن التلاميذ يشتغلوا كويس) وضحك الجميع .

وختم الرئيس هذه المقدمة بقوله : (مسئوليتكم ليس كخبراء أو مستشارين بل **اكبر من هذا** . . وأي مشاكل لكم أنا مستعد لحلها فورًا فالموضوع بالنسبة لنا **حياة او موت** .

ثم استمع عبد الناصر إلى تقارير المستشارين السوفييت عن القوات الجوية ، ثم الدفاع الجوي وبعده مستشار القوات البحرية ، ثم تقرير رئيس الاستطلاع ، ثم مستشار هيئة عمليات القوات المسلحة ثم مستشار الجيش الثاني ومستشار الجيش الثالث ، ثم علَّق كبير المستشارين السوفيتي حتى انتهى الاجتماع التاريخي في الدقائق الأولى يوم ١١ يناير ١٩٧٠ .

وفي لقاء ثالث يوم ١٦ مارس ١٩٧٠ تحدث الرئيس عبد الناصر عن العلاقة مع المستشارين السوفييت ، وقال :

« العلاقة مع المستشارين مهمة جدًا جدًا ، ويجب تعبئتهم معنا بأي ثمن وكلامهم له تأثير على العسكرية السوفييتية ونحن في حاجة إليهم جدًا . . لقد أرسلوا أولادهم إلينا هنا ليموتوا يجب تقديرهم تمامًا . . نريد أن تكون العسكرية السوفيتية معنا دائمًا » .

أي مشاكل معهم يجب حلها أول بأول ، نحن في يدنا كل شيء . . ولن يسيطروا علينا أبدًا . .

زيارة مفاجئة للإسماعيلية وآخر لقاء ٥ يونيو ١٩٧٠

ودارت عجلة الاستعداد والتدريب ورفع المعنويات والتعاون مع المستشارين السوفييت ، تنفيذًا لقرار القائد الأعلى ، وأن نعمل على أن يكون بذل الجهد هو المسيطر على الجميع مع الجدية في التدريب والإعداد . وقام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارة مفاجئة للجبهة خلال صيف ١٩٧٠ ، خاصة بعد نجاح قوات الجيش الثاني في الحصول على أسرى أحياء من رجال المظلات يوم السبت ٣٠ مايو ١٩٧٠ ، وهو يوم الحزن في إسرائيل ، ولذلك سمي بالسبت الحزين .

ومع أول ضوء يوم أول يونيو حولت القوات الجوية الإسرائيلية المنطقة من بور سعيد إلى القنطرة إلى جحيم من النيران في إغارات مستمرة نهارًا وليلاً لم نشهد مثلها من قبل ، وامتد القصف إلى كل منطقة الجيش الثاني بل والجبهة بأكملها ، والتي لم يكن لها أي تأثير أو خسائر لقواتي . وخلال هذا القصف الجوي وكنت بالصدفة في طريقي في زيارة بعض قواتي في الإسماعيلية وتوقفت عند كوبري نفيشه جنوب غرب الإسماعيلية مباشرة ، وكانت طائرات العدو تقصف موقعًا لكتائب الصواريخ في منطقة غرب واحة المنايف .

وإذا بي أشاهد عربة جيب حربي تقف أمامي ، وبها الرئيس جمال والوزير محمد فوزي واللواء البوريني قائد الجيش الثالث ، وكانت مفاجأة . . وقال لي الرئيس : « من قال لك أننا سنحضر هنا » قلت له وبسرعة « قلبي دليلي » فضحك ونزل من السيارة ومعه الفريق أول فوزي وركبنا معًا سيارتي إلى الإسماعيلية وكانت خلفنا سيارة جيب حربي بها السيد محمد أحمد ياور الرئيس وبعض الحراس . .

وبعد أن اطمأن الرئيس على موقف الجيش الثاني طلب زيارة مدينة الإسماعيلية ، ومررنا أمام المحافظة وكانت الساعة حوالي الثالثة والنصف بعد الظهر وكانت مقفلة ، ثم مررنا في طريق آخر وإذا بنا نجد فكهاني قد علق صورة جمال عبد الناصر على محله ، ووقفت أسأله عن مكان غرفة مدير الأمن وقبل الإجابة فوجئ بالرئيس جمال بجواري وكانت فرحته لا تقدر بثمن ، وظهرت صورته اليوم التالي في صدر جرائد الصباح . .

وعرضت على الرئيس جمال زيارة غرفة عمليات مديرية أمن الإسماعيلية ، وهناك قابلنا اللواء محمد السعيد وسعد جدًا بهذه الزيارة التي كانت سببًا في مد مدة خدمته عامًا آخر ، حيث طلبت من الرئيس جمال هذا لأنه يستحق أكثر من مد الخدمة فقد كان مثلاً

للإخلاص والوفاء والتعاون .. ثم في مركز قيادة الفرقة الثانية المشاة بالإسماعيلية نزلنا من السيارة سيرًا على الأقدام تحت الأرض ، حيث قابلنا العميد أ ح أحمد مراد قائد الفرقة وكانت سعادته وسعادة كل أسرة الفرقة لا تقدر وتناولنا طعام الغذاء وبعد استراحة قصيرة عاد الرئيس إلى نفيشه ومنها إلى القاهرة وكان هذا آخر لقاء لنا في الجبهة .. وبعد إيقاف القتال نجحنا في تحريك الصواريخ المضادة للطائرات إلى أقرب ما يمكن من قناة السويس وفي نفس الوقت دعمت أمريكا إسرائيل بكل ما تريد ودعمت إسرائيل خط بارليف ودفاعاته وقرأت في أحد الكتب الأمريكية حصرًا للخسائر ما بين يوليو ١٩٦٧ إلى أغسطس ١٩٧٠ ، تفيد بأن إسرائيل خسرت أمام الجبهة المصرية ١٢٧ قتيلاً ، و ٧٠٠ جريحًا وإشارات إلى أن مصر خسرت ٤٠٠ قتيل ، و ١١٠٠ جريح ..

يوم الرحيل :

في يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وصل إلى الجبهة في قطاع الجيش الثاني ١٥ وزيرًا ومعهم ٥ محافظين ، يمثلوا المحافظات الخمس الواقعة في نطاق الجيش الثاني . وكان الرئيس عبدالناصر قد أصدر تعليماته إلى وزير الحربية بمعاملتهم كالجنود في الميدان لمدة يوم كامل ، يعيشون فيه معيشة الجنود ويلبسون ملابسهم ويتناولون نفس طعامهم !

وقد استقبلتهم في معسكر الراحة بالإسماعيلية وتناولنا جميعًا طعام الغذاء في المعسكر مع مجموعة من ضباط وجنود الجيش الثاني من مختلف وحداته ، ودام هذا اللقاء أكثر من ساعتين ، وقد ساعدوا جنودي على حل كثير من المشاكل كل حسب موقعه وتحركنا إلى القنطرة غرب ، حيث تم اجتماع آخر مع عدد من الضباط والجنود . ومن مواقع الملاحظة على الضفة الغربية شاهدوا بعض مواقع خط بارليف في الناحية الأخرى من القناة ، ومن ثم وصلنا بور سعيد مع الغروب وشاهدنا موقع العدو المحصن جنوبي بور فؤاد مباشرة واجتمعنا مع رجال القطاع هناك .. وكان بعض من الوزراء يفكر في المبيت في المواقع مع الجنود والبعض يرغب في العودة إلى القاهرة .. ورجحت كفة العودة الليلة إلى القاهرة ، واقترحت العودة عن طريق دمياط ثم إلى القاهرة ورافقتهم في العودة إلى دمياط .

وفي الطريق إلى دمياط كنا نستمع إلى أخبار القاهرة من الإذاعة . وكانت الإذاعة المصرية تذيع على جميع موجاتها آيات القرآن الكريم ولم نكن ندري أنها تترحم على روح الرئيس عبد الناصر !!

وفي دمياط تم الاتصال التليفوني برئاسة مجلس الوزراء بالقاهرة ، حيث تم استدعاء الوزراء على وجه السرعة ، وعلمنا أن قضاء الله قد حل . . يرحمك الله يا جمال . .

هذه ذكريات أطول يوم في تاريخ مصر العزيزة . . .

الوزراء بالجبهة يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٧٠

مع قائد الجيش الثانى الميدانى

من قادة مصر المعاصرين

الفريق أول عبد المنعم محمد رياض

يموت العظماء بينما تظل ذكراهم نغمًا تردده الأجيال الصاعدة ، ومثلاً يضربه الأجداد للأحفاد على مر العصور وتوالي الحقب . وكان عبد المنعم رياض واحدًا من هؤلاء الذين تركوا بصمتهم على نسيج الجندية المصرية كإنسان رفيع الخلق ، وعالم واسع المعرفة ، وجندي غزير العطاء ، وقائد يمتلك الخبرة العريضة بفنون القتال ، والحذق في قيادة القوات ، مع الفوز بولائهم ومحبتهم بغير حدود .

وفيما بين ٢٢ أكتوبر ١٩١٩ و ٩ مارس ١٩٦٩ عاش عبد المنعم رياض حياته الحافلة بالشجاعة في الحق ، والتفاني في العمل ، والإخلاص للوطن ، حيث قضى ثلث قرن يمارس الجندية حرفة وهواية ، فأخذها من أعرق مدارسها ، وأعطاها ثاقب رأيه وسحابة أيامه .

وفي الحادي والعشرين من فبراير ١٩٣٨ تخرج رياض في الكلية الحربية ، فكان تقرير كبير المعلمين عنه « إنه طالب جيد جدًا من جميع الوجوه ، يمكن الاعتماد عليه ، وببذل كل جهده » .

وخدم في المدفعية المضادة للطائرات فكان دائم الاختلاط بجنوده ، يشيع حوله جوًا من الألفة والمحبة . وكم كان يحزنه حالة التردي التي يلمسها حوله نتيجة الاحتلال البريطاني البغيض ، وسيطرة بعثته العسكرية على شئون القوات المسلحة ، فكان الحل الذي ارتآه وكتب عنه إلى أحد أصدقائه .

(أنه لا خلاص من تلك الحالة السيئة إلا بالعلم والكفاح)

وسرعان ما وافق القول العمل ، إذ حصل على شهادة الماجستير في العلوم العسكرية في ديسمبر ١٩٤٤ وجاء ترتيبه الأول على الدورة السابعة بكلية أركان الحرب وبتقدير . . . « يوصى به كضابط أركان حرب ممتاز ، مجد وذو غيرة ، شخصية قوية وبارزة ، يمتلك روح الابتكار ، يواجه المهام بنشاط كبير ، دائم البحث عن الحقيقة ، سليم التفكير ، ذو كياسة وكفاءة ، ولديه الشجاعة في إبداء الرأي » .

وعندما التحق بمدرسة المدفعية المضادة للطائرات البريطانية فيما بين ١٩ سبتمبر ١٩٤٥ و ٢٠ فبراير ١٩٤٦ نال تقدير الامتياز ، وعاد ليخدم بإدارة عمليات وخطط الجيش حيث وصفه أحد قادة حرب فلسطين عام ١٩٤٨ بقوله . . . « كنت أحارب في الميدان في مرحلة حرجة ، وكان ارتباطي الفكري بعبد المنعم رياض في إدارة العمليات بالقاهرة له أهميته في إدارة القتال ، ولم يخيب عبد المنعم رياض ظني فيه أبدًا ، وكان رأيه صائبًا وقد كوفئ رياض بنوط الجدارة الذهبي تقديرًا لجهوده في تلك الحرب » .

وظل رياض يتدرج في مختلف المناصب والرتب ، فتولى قيادة مدرسة المدفعية المضادة للطائرات في شهر مايو ١٩٥٢ ، ثم قائدًا للواء الأول المضاد للطائرات في شهر مايو ١٩٥٣ ، فقائدًا للدفاع المضاد للطائرات في شهر يوليو ١٩٥٤ .

وجاء تقريره عن تلك الفترة يشيد به كضابط ممتاز من كافة الوجوه ، ومعلم قدير متمكن من فنه ، محب للانضباط ، يؤدي عمله بأمانة وإخلاص على الوجه الأكمل مهما كلفه ذلك من مشاق ووقت ، ورجل له كافة صفات الرجولة الحقة » .

وفيما بين أبريل ١٩٥٨ ويناير ١٩٥٩ أتم العميد أركان حرب عبد المنعم رياض دورة تعبوية بأكاديمية فرونز العسكرية العليا بالاتحاد السوفيتي ، حيث حصل على تقدير الامتياز .

وخلال عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ التحق وهو برتبة اللواء بدورة خاصة بالصواريخ الموجهة ليقف على أدق أسرارها ، كما درس الرياضة البحتة في كلية العلوم بجامعة القاهرة .

وعندما شغل منصب نائب رئيس شعبة العمليات جاء في تقريره السنوي : « إن كل ما يكتب عن اللواء رياض لا يفيه حقه ، فهو مثل يحتذى وقدوة في جميع النواحي ثقافة وذكاء وانضباطًا وقوة شخصية ، ودماثة خلق وصراحة في الحق وسعة في الأفق وإنكارًا للذات . وبمناسبة نقله من شعبة العمليات فإنني أوكد عن إيمان أن الشعبة قد خسرته نائبًا لرئيسها ، وهو خير من نرشحه ليرأسها في المستقبل » .

وخلال الفترة من مارس ١٩٦٥ وحتى يوليو ١٩٦٦ أمضى اللواء رياض الدراسة في كلية الحرب العليا حتى ترقى خلالها إلى رتبة الفريق ، وكان التقرير الذي حصل عليه ينوه بامتيازه وقدرته العالية على المبادأة والابتكار والتطبيق العملي السليم للنظريات العلمية . قادر على حل المشاكل الميدانية والتعبير عن آرائه بوضوح ، يكشف عن معرفة عميقة بأسس الفن التعبوى والاستراتيجي » .

ثم انتسب وهو برتبة الفريق لكلية تجارة عين شمس ، علاوة على الدراسة بالمراسلة بجامعة لندن فرع الرياضة والاقتصاد لثقته بأن العلم العسكري شديد الارتباط بهما .

وفي ١١ يونيو ١٩٦٧ ، وبعد ستة أيام من انتهاء جولة صيف ١٩٦٧ ، وفي ظروف حالكة السواد أحاطت بالوطن العربي ، عندما أمسى الطريق مفتوحًا إلى القاهرة لم يكن غير عبد المنعم رياض وأمثاله ليدفعوا الخطر ويعيدوا مسيرة التاريخ إلى طريقها الصحيح ، فكان اختياره لمنصب رئيس أركان القوات المسلحة ليبدأ مرحلة إعادة البناء من الأساس ، وتلك أسطورة سوف يظل يذكرها التاريخ بكل فخر وإعزاز .

وبقدر ما كان تقييم الفريق رياض لنكبة صيف عام ١٩٦٧ شديد الإيجاز ، كان بالغ الوضوح في قوله . . . « لقد كان لدينا جيش ولم تكن لدينا قيادة على الإطلاق ، وماذا يفعل أي جيش إذا ما فقد رأسه ؟ »

وفي أهمية الصلة بين القائد وجنوده لم يكن يمل من تكرار القول : « إذا حاربنا حرب القادة في المكاتب بالقاهرة فالهزيمة محققة ، فالمكان الصحيح لأي قائد هو بين جنوده ، وأقرب إلى المقدمة منه إلى المؤخرة » .

ولم يكن ذلك مجرد قول دون فعل ، فقد صدر بيان برئاسة الجمهورية يوم ١٠ مارس ١٩٦٩ ينعي إلى الأمة الفريق أول عبد المنعم رياض فيقول : « فقدت مصر بالأمس جنديًا من أشجع جنودها وأكثرهم بسالة ، رجلاً كانت له همة الأبطال تمثلت فيه خصال شعبه وأصالته » .

وكان استشهاده في أقصى المواقع الأمامية عند ضفة قناة السويس بالإسماعيلية ، حيث سقط ومن حوله جنوده يؤدون الواجب الذي اجتمعت عليه كلمة الأمة ، والتقى عليه تصميمها ، أن يكون النصر مهما غلي الثمن أو ثقلت التضحيات » .

لقد كان الفريق أول عبد المنعم رياض واحدًا ممن قادوا المسيرة نحو نصر رمضان المجيد ، وإذ شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى ألا يشهد فرحتها ، فكأنما كانت روحه الطاهرة ترقب بطولة جنوده وهم يعتلون الحوائط الترابية الشاهقة ، ويقتحمون مياه القناة ،

ويجتاحون حصـون خط بارليف المنيعة على نـحو ما أعدهم لتلك المهمة المـقدسة ، وتعاهد معهم على أدائها حتى النصر أو الشهادة التي فاز بها قبلهم بنيف وأربعة أعوام .

واحتسبت أمة العرب شهيدها فكان مما أذاعه صديقه ملك الأردن ذلك البلاغ الذي يقول « هذا العسكري الفذ الـذي يندر مثله شجاعة وخلقًا وإخلاصًا ولئن قـضى عبد المنعم رياض شهيدًا فلسوف تبقى ذكراه حية » .

وأرسل الإمام الأكبـر شيخ الجامع الأزهر يقول : « . . لـقد ضرب البطل عبـد المنعم رياض أروع الأمثلة في الجهاد والتضحية والفداء » .

وذكرت وكالة الـيونايتدبرس الأمـريكية : « لقد ختـم الفريق أول رياض حيـاته على العهد به - رجلاً مخلصًا لجنديته بعد أن شارك فـي عمل شبه مستحيل هو إعادة بناء القوات المسلحة المصرية . وإذا كـانت مصر قد فقدت فيه جنديًا بارزًا فقد كسبـت به بطلاً شعبيًا من الطراز الأول » .

وقالت صحـيفة الجارديان البـريطانية . . . « لقد رفـعت وفاة عبد المنـعم رياض الروح المعنوية لشعب مصر إذ عبر استشهاده في أقـصى المواقع الأمامية عن الروح الجديدة التي بثها في الجنود بعد معركة يونيو ١٩٦٧ » .

ووصفت صحيفـة الديلي تلجراف البريطانـية موكب جنازة الفقيد بـقولها : « . . لقد كانت أكبر مظاهرة شـعبية وأشدها حماسة منذ قيام ثورة يـوليو ١٩٥٢ ، إذ كان البطل من أكفأ وأقدر الضباط المصريين » .

وقالت صحيفة بوليتيكا اليوغسلافيـة في رثاء عبد المنعم رياض : « بأن الشهيد العظيم كان واحدًا ممن لا يوجد كثير من أمثاله في العالم » .

وختم أحمـد فؤاد نجم(*) الأقوال فـى هـذا البطل العـظيم بهـذه القصيدة التى قدم فيها الرثاء إلى مصـر قلبًا وقالبًا لفقـد هـذا الوطنى المخلص الذى أدمى فراقه قلب مصر وهزَّ مشاعرها هزًا عنيفًا حتى باتت نهارها ليلا ودموعها سيلا . . . . فقال :

(*) ديوان أحمد فؤاد نجم الأعمال الكاملة الجزء الثانى ص ٧٠١ دار طلاس دمشق ١٩٨٦ .

زَعَق الوابور ع السفر

أنا قلت كان بدري

نعق الغراب ع الشجر

خطف الفراق بدرى

جدع

ما شفناش جدع

فات فى البلد زيه

عيط عليه القمر

والنجمة في البدري

* * *

يا ننى عين البلد

يا بن البلد يا عزيز

بكّيت عيون الولد

والبنت

والعواجيز

يا قلب مصر النقي

وقلب مصر بياض

عزيز علينا اللقا

بعد الفراق يا رياض

يا عترة الحراس

يا بو الإدين تنباس

يا ريتني كنت معاك

وشربت نفس الكاس

* * *

هطّال يا دمع البكا

واللي بكى لم طال

دم الجدع

يا جدع

سال ع الكنال

هطال

يروي على أرضنا

حدوته بالموّال

بعد الصلا ع النبي

ياليل يا عين يا نضال

ملعون ياداء البكم

ملعون ياطول البال

بعد الوطن ما اندهس

وصار ترابه حلال

للغاصب الأجنبي

والجبنا والأندال

يا حرّ قلب الناس

على رنة الأجراس

الشعب كله رياض

ورياض مثل

يا ناس

* * *

يا ننى عين البلد

يابن البلد

يا شجيع

دمّك عزيز ع البلد

عمر العزيز ما يضيع

كلمة وقالتها البلد

في لحظة التوديع

بالدم نفدي البلد

لا سلم لا تمييع

وان كان طريقك سفر

تفنيه خطاوينا

ونغوص في جوف السحر

وعقولنا تهدينا

وان كان طريقك حجر

حتبشبشه أيدينا

رحم الله عبد المنعم رياض وجزاه بما قدمه لدينه ووطنه من خدمات وتضحيات أوفى الجزاء ، وأسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء ، وحسن أولئك رفيقًا .

الفريق أول عبد المنعم رياض

فريق أول محمد فوزي

وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المصرية

بدأت حياته العسكرية منذ عام ١٩٣٤ ، وانتهت عام ١٩٧١ ، وبالتحديد يوم ١٤ مايو ١٩٧١ . واشترك في الحرب العالمية الثانية في وحدات الدفاع المضاد للطائرات عن القواعد البحرية والجوية في الإسكندرية وبورسعيد وقناة السويس عامي ١٩٤١ - ١٩٤٢ ثم في الجولة العربية الإسرائيلية الأولى ثم في معركة ٥ يونيو ١٩٦٧ وانتهت الخبرة العسكرية الميدانية بحرب السنوات الثلاث ١٩٦٧ - ١٩٧٠ ، وكان مركزه القيادي في الأخيرة يسمح له بالاشتراك في صنع القرار الاستراتيجي للدولة .

ولما حلَّت نهاية الصراع على السلطة بوفاة المشير عبد الحكيم عامر وإعادة الأوضاع غير العادية إلى وضعها الطبيعي ورفض الشعب الهزيمة وتمسكه بالقائد الرئيس عبد الناصر الذى بدأ تنظيم الإدارة الحكومية وترأس مجلس الوزراء ووضع إستراتيجية جديدة وحدَّد هدف الشعب والقوات المسلحة بالصمود والتحدي ومواصلة القتال مع إسرائيل . قاد الفريق أول فوزي سفينة إعادة بناء القوات المسلحة من جديد واندفعت عجلة بناء وتنظيم وتسليح وتدريب وإعداد القوات المسلحة مع عمليات الصمود بالقتال مع العدو . كما تم لأول مرة في القوات المسلحة المصرية دخول الجندي المثقف خريج الجامعة والمعاهد العليا في صفوفها ، مع وضع الأسس والمبادئ العملية لتطوير أسلوب إعداد المقاتل معنويًا .

ونجح الفريق أول فوزي في تنظيم أضخم تجمع دفاع جوي غرب قناة السويس وحول المدن والمطارات والأهداف الحيوية . ووصلت مصر إلى قدرة تحدي إسرائيل وانتهت حرب السنوات الثلاث يوم ٨ / ٨ / ١٩٧٠ بمكاسب سياسية لمصر ، كما أن القوات المسلحة محت الهزيمة وتكاملت قدراتها على تنفيذ خطة تحرير سيناء بالقوة .

وجاء في مذكرات الفريق أول فوزي - حرب الثلاث سنوات - الفصل الثالث ص ٥٦ :

وحتى بدء القتال في ٥ / ٦ / ١٩٦٧ كانت حدود أعمالي ونشاطي في مهمات القوات المسلحة محض شكلية وهو رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في هذا الوقت !! .

الفريق أول محمد فوزى على شمال الرئيس عبد الناصر
فى عربة قائد الجيش الثانى الميدانى
٥ يونيو ١٩٧٠

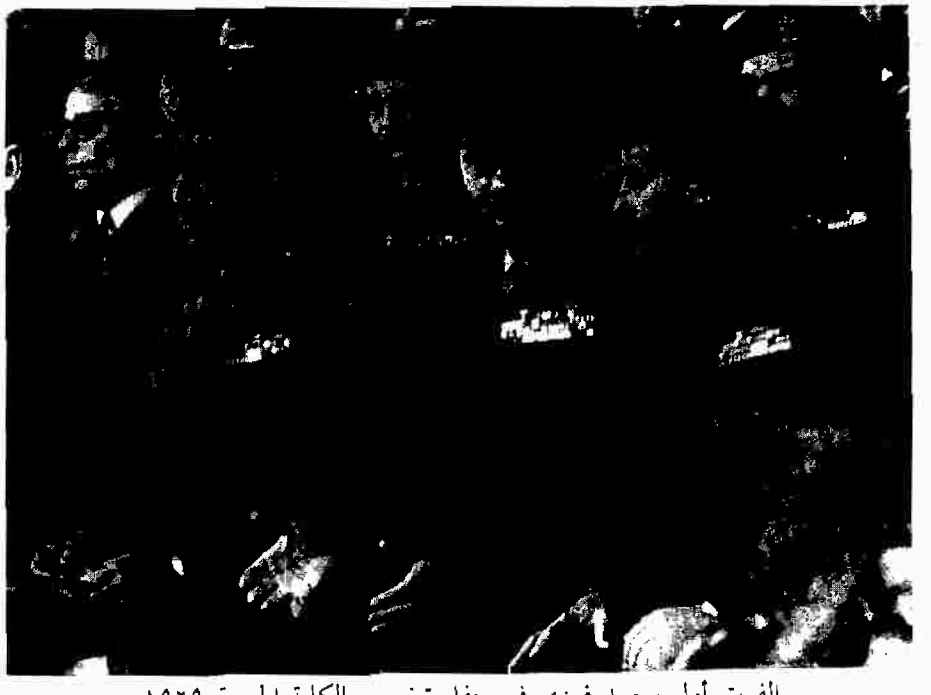

الفريق أول محمد فوزى فى حفل تخريج بالكلية الحربية ١٩٦٩